22

مصابيح العلم

نَشْرَةٌ دَعَوِيَّةٌ تُعْنَى بِالتُّرَاث والمَخْطُوط والسِّيَر والتَّارِيخ/ العدد الثاني والعشرون/ شوَّال ـ ذو القعدة ـ ذو الحجَّة 1447هـ

- قَصِيدَةٌ في المَذْهَبِ السَّلَفِي/ الشَّيخ عمر بن البسكري العُقْبِي
- الأُخُوَّة الإنسانيَّة ـ اليَهُودُ إِخْوَانُنَا... كَذَبُوا وَاللهِ!
- فتوى شيخ الأزهر محمَّد أبو الفضل الجِيزَاوِي في الجهاد وتقديمه على الأضحية
- فِي تَوْدِيعِ حَاج: نِعْمَ المُسَافِرُ أَنْتَ! / الشَّيخ مُبَارَك المِيلِي
- رِسَالَتَان مِن شَكِيب أَرْسَلَان إِلَى عَبْد الحَمِيد بْنِ بَادِيس
- المَكْتَبَة العُثْمَانِيَّة ـ طُولْقَة/ مِنْ رِحْلَة صُحُفِيٍّ تُونُسِيٍّ سنة 1951م

الفَهرِسْ

خُطْبَة الحَاجَة	
الافتتاحيَّة/ ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾	
العقيدةُ والتَّوحيد/ وَصْف خطبةُ جُمُعة في الحَرَم المَكِّي ــ مَوْسِمُ حَجِّ 1345هـ	
الفتاوى/ فتوى شيخ الأزهر محمَّد أبو الفضل الجِيزَاوِي= في الجهاد وتقديمه على الأضحية	
الدَّعْوَة ووَاقِعُ الأُمَّة/ ■ مُلَخَّصُ خُطْبَة عيد الأضحى في جامع وُوكِنْجِ بِلُنْدُنْ ـ سَنَة 1349هـ / الحاج أمين أفندي الحُسَيْنِي ■ الدَّعوة ضِدَّ المملكة العربيَّة السُّعُوديَّة والحَج/ من حديث صُحُفِيٍّ لِجلالة الملك عبد العزيز آل سُعُود ــ 1352هـ ـ 1933م	
تَصْحِيحُ المَفَاهِيم: الأُخُوَّة الإِنْسَانِيَّة ـ اليَهُودُ إِخوَانُنَا ... =كَذَبُوا وَالله! / مِن تصريح لجلالة الملك ابن سُعُود عن اليهود وأضرار تقليد المسلمين للأروبِّيِّين	
وَصَايَا ومَوَاعِظ: فِي تَوْدِيعِ حَاج: نِعْمَ المُسَافِرُ أَنْتَ! / مِن وصايا الأستاذ الشَّيخ مُبَارَك المِيلِي	
وَصَايَا ومَوَاعِظ: ■ بين قُوَّة الشَّبَاب وحِنْكَة الشُّيُوخ / مِن خطاب الأستاذ الشَّيخ عبد الحميد بن باديس في حَفْلَة عيد النَّحر المبارك ■ نَصِيحَةٌ وإِرْشَادٌ مِنْ جمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريِّين إِلَى وَفْدِ اللهِ مِنْ إخواننا	

	المسلمين الجزائريِّين ومَنْ بَلَغَهُ كَلَامُنَا مِنْ إخواننا المسلمين ـ حج 1353هـ ■ الاِحْتِفَال بالحُجَّاج/ احتفال جمعيَّة التَّربية والتَّعليم الإسلاميَّة بِحُجَّاج بيت الله الحرام ـ حج 1353هـ ■ تَكْرِيمُ حُجَّاجِ بَيْتِ اللهِ الحَرَام/ منشورٌ طبعتهُ ووزَّعتهُ جمعيَّةُ التَّربية والتعليم الإسلاميَّة بِقسنطينة، على السَّادة الحُجَّاج ـ حج 1354هـ ■ الاِحْتِفَال بالحُجَّاج/ من احتفال جمعيَّة التَّربية والتَّعليم الإسلاميَّة بقُسَنْطِينَة ـ بالحُجَّاج ـ حج 1356هـ
	بحوثٌ حديثيَّةٌ فقهيَّة: النُّكَتُ على كتاب «أحكام الجنائز» ـ 3 ـ
	أَخْبَارٌ وتَرَاجِم: ■ الشَّيخ أحمد حَسُّون السُّودَانِي/ مِن تلامذة وأصحاب الشَّيخ عبد الرَّحمن أبو حَجَر الجزائري
	الكُتُب والتُّرَاث: الأَعْلَام للزِّرِكْلِي/ للكاتب الكبير الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني
	أَدَب الرِّحْلَات: المَكْتَبَة العُثْمَانِيَّة ـ طُولْقَة/ مِن رِحْلَة الشَّيخ الطَّيِّب بن عيسى ـ صاحب جريدة «الوزير» التُّونسيَّة ـ سنة 1951م.
	أدب الرَّسَائِل: رِسَالَتَان خُصُوصِيَّتَان من شَكِيب أَرْسَلَان إلى عَبْد الحَمِيد بْنِ بَادِيسْ
	مُخْتَارَاتٌ:
	تَزْكِيَةٌ وَأَخْلَاق: الإِنْصَافُ ـ بقلم علَّامة الشَّام جمال الدِّين القاسمي
	أَشْعَارٌ وَقَصَائِد: قصيدةٌ في المَذْهبِ السَّلَفِي/ للشَّيخ عُمَر بن البِسَكْرِي العُقْبِي

خُطْبَة الحَاجَة:

إنَّ الحمد لله نَحمدُه ونَسْتَعِينُه ونَستَغْفِرُه، ونَعُوذُ بِاللهِ مِن شُرُورِ أَنفسِنا ومِن سَيِّئات أعمالنا، مَن يَهدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِل فلَا هَادِيَ له، وأَشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحمَّدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:102].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النِّساء:1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأحزاب: 70 -71].

أمَّا بعد: فإنَّ خيرَ الكلام كلام الله تعالى، وخيرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحمَّد ﷺ، وشرَّ الأُمُور مُحْدَثَاتُها، وكُلَّ مُحدثةٍ بِدعة، وكُلَّ بِدعةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضَلَالَةٍ في النَّار.

الافتتاحيَّة:

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾: جاء هذا في الحَرْب؛ تكون مَرَّةً لِلمؤمنين؛ لِيَنْصُرَ اللهُ ﷻ دِينَهُ، ومَرَّةً للكافرين؛ إِذَا عَصَى المؤمنون؛ لِيَبْتَلِيَهُم ولِيُمَحِّصَ ذُنُوبَهُم. [«تفسير القرطبي»].

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾: مِن المُدَاوَلَة، وهِيَ المُنَاوَبَة، وهِيَ: نَقْلُ الشَّيء مِن واحدٍ إلى آخرَ. [«تفسير اللُّبَاب»].

ـ ولِذَا يُقالُ: الدُّنْيَا دُوَل، أي: تَنْتَقِلُ مِن قومٍ إلى آخرين.

◆ سُئِلَ الحَسَن رَحِمَهُ اللهُ عن قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾، فقال: «**جَعَلَ اللهُ الأَيَّامَ دُوَلًا؛ مَرَّةً لِهؤلاء ومَرَّةً لِهؤلاء**».

■ قال أبو حيَّان رَحِمَهُ اللهُ: «الأيَّامُ لا تَبْقَى للنَّاس على حالةٍ واحدة، يُصَرِّفُهَا اللهُ تعالى على ما أراد، تارةً لِهؤلاء وتارةً لِهؤلاء».

ـ والمعنى في: مُدَاوَلَة الأيَّام بين النَّاس: أنَّ مَسَارَّها لا تَدُوم، وكذلك مَضَارُّهَا [لا تَدُوم]، فيَوْمٌ يكون السُّرُورُ لإنسانٍ والغَمُّ لِعَدُوِّه، ويَوْمٌ آخرُ بالعكس. [«تفسير اللُّبَاب»].

«**يَوْمُ أُحُدٍ**»: كان يومًا شديدَ المِحْنَة على المؤمنين، كان فيه الكُفَّار غَالِبِين، وكان المؤمنون مَغْلُوبِين، مِن بَعْدِ ما كان المؤمنون في بَدْرٍ غَالِبِين والكُفَّار مَغْلُوبِين.

◆ قال ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**كان يَوْمُ أُحُدٍ بِيَوْمِ بَدْرٍ**». [«تفسير ابن أبي حاتم»].

ـ وكُلُّ ذلك بِأَمْرِ اللهِ وقَضَائِهِ.

ـ **في الآية:** ضَرْبٌ من التَّسْلِيَة. [«تفسير أبي السُّعود»].

ـ **وفي الآية:** إعلامٌ منه تعالى: «أَنَّ سُنَّةً لَهُ في عباده، أن يَبْلُوَهُم مَرَّةً بِالخَيْر، ومَرَّةً بِالشَّرّ،

كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[الأنبياء: 35]». [«تفسير البسيط» للواحدي].

ـ **وفي الآية:** إعلامٌ منه تعالى: أَنَّ هذه الدَّار مُنْقَضِيةٌ فَانِيَة. [«تفسير السَّعدي»].

■ قال ابنُ الجوزي: «**اعْلَمْ أَنَّ الزَّمان لا يَثْبُتُ على حال، كما قال** ﷻ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾، **فتارةً فَقْرٌ، وتارةً غِنًى، وتارةً عِزٌّ، وتارةً ذُلٌّ، وتارةً يَفْرَحُ المُوَالِي، وتارةً يَشْمَتُ الأَعَادِي. فالسَّعِيدُ مَن لَازَمَ أَصْلًا وَاحِدًا على كُلِّ حال، وهُوَ تَقْوَى اللهِ** ﷻ ... » [«صيد الخاطر» لابن الجوزي].

جَمِيعُ الأشياء تَزُولُ وتتَغَيَّر! ... «والتَّقْوَى هِيَ الَّتي تَأْخُذُ بِيَدِك»، وتَمْلِكُ وتَفْتَحُ لَكَ أَبْوَابَ الخَيْرِ والسَّعَة.

وَصْفُ خُطْبَةِ جُمُعَةٍ في الحَرَمِ المَكِّيِّ

في مَوْسِمِ حَجِّ سَنَةِ 1345هـ

كما نَقلَهَا صحفيٌّ تُونُسِيٌّ حَاضِرٌ

كانت لصاحب جريدة «الوزير التُّونسيَّة» (الشَّيخ الطَّيِّب بن عيسى): سَفْرَةٌ إلى الحجاز، لأداء واجب الحَجِّ، في سنة 1345هـ، أي: في أوائل الفَتْح السُّعُودي، أي: (استيلاء الملك عبد العزيز ابن السُّعُود على الحجاز وتخليصه من سُلْطَة الحسين بن علي)، وحينما أصدر العدد (229) من جريدته، بتاريخ (27 محرَّم الحرام 1346هـ= 26 جويلية 1927م)، افتتحه بمقالٍ عنوانُه (مِن تُونُس إلى الحِجَاز)، ذَكَرَ فِيهِ مشاهداته، وما اطَّلَعَ عليه مِن أحوال الحجاز في عهد هذه الحكومة الجديدة، وأَنْتَقِي من هذا المقال الافتتاحي وَصْفَهُ لِخُطْبَة الجُمُعَة الَّتي حضرها في الحَرَم المَكِّي، قال:

«..... ومِن الخُطْبَة الَّتي أَلْقَاهَا يوم الجمعة إمامُ الحَرَم المَكِّي الحنبليُّ المذهب النَّجْدِيُّ المَوْلِد السُّعُودِيُّ المَشْرَب، بحضور الملك عبد العزيز وأمير مَكَّة ابْنِهِ فيصل ـ يتَّضح لِذِي عَيْنَيْن اعتقادُ القَوْم ومذهبُهم وتديُّنُهم.

سمعتُ الخُطْبة وكُنْتُ خَلْفَ المنبر بالقُرْبِ مِن مقام سيِّدنا إبراهيم الَّذي نزلت في حقِّه الآية: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: 96-97].

الخُطبةُ ارتجاليَّةٌ تضمَّنت حَثَّ المسلمين على التَّوْبَة والإِقْلَاع عن الإشراك بالله وجعل أَنْدَادٍ له وإقامة المعابد والأصنام كالقِبَاب والقبور المُشَيَّدَة والتَّوسُّل بالأنبياء والأولياء، واللهُ تعالى يقول: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾[الزُّمَر: 36] ـ ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾

[النَّجم:39] ـ ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴾[الأحقاف:5] ـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[الفاتحة:5] ـ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[النِّساء:48] ـ ﴿مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾[المائدة:72] ـ ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر:60]. وسَرَدَ أحاديث كثيرة، ثُمَّ أخرج الخطيبُ مِن جَيْبِهِ مَكْتُوبَيْن وقع العُثُورُ عليهما بِمقام سيِّدنا إبراهيم، فقرأهما، وانتقد غلطاتهما مِن حيث الاستعانة بِغَيْرِ الله، بعد أن اسْتَحْسَنَ تَحْلِيَتَهُمَا بِالبَسْمَلَة والصَّلاة على النَّبِي، وخَتَمَ خُطْبَتَهُ بِتَحْرِيضِ النَّاس على التَّوْبَة والإقلاع عن الزَّيْغ، وبِذَلِكَ يُوَحِّدُونَ اللهَ حَقَّ تَوْحِيدِه، ولا يُشْرِكُونَ بِهِ شيئًا.

ثُمَّ دَعَا اللهَ جَلَّ وعَلَا، وَثَنَّى بالصَّلاة على النَّبِيِّ ﷺ وجميع الرُّسُل، وثَلَّثَ بِالتَّرْضِيَة على الصَّحابة والتَّابعين والملائكة والمُقَرَّبين والأولياء والصَّالحين.

فإذن، المذهبُ الوَهَّابِيُّ هُوَ نَفْسُ المذهب الحَنْبَلِيِّ الدَّاعِي إلى تَوْحِيدِ اللهِ وتَرْكِ التَّوَسُّلِ بِغَيْرِ العَمَلِ الصَّالِحِ للدَّارِ الآخِرَةِ الدَّائِمَة.... «الطَّيِّب بن عيسى»». اهـ المقصود.

فتوى في تقديم إعانة المجاهدين على الأُضْحِيَة والزَّكَاة

◆ صَاحِبُ الفَتْوَى:

هو «الشَّيخ محمَّد أبو الفضل الوراقي الجِيزَاوِي، وُلِدَ في وراق الحضر (مِن ضواحي القاهرة)، سنة 1263هـ= 1847م، وتَرَبَّى وتَعَلَّم في الأزهر، وعُيِّنَ شَيْخًا لمعهد الإسكندريَّة، ثُمَّ رئيسًا لِمَشْيَخَة الأزهر والمعاهد الدِّينيَّة بالقاهرة، وشَيْخًا للمالكيَّة. وظَلَّ في هذا المنصب إلى وفاته بالقاهرة في سنة 1346هـ= 1927م»[1].

◆ مَصْدَرُ الفَتْوَى:

نُشِرت في جريدة «الوزير» التُّونسيَّة (لصاحبها الشَّيخ الطَّيِّب بن عيسى)، في العدد (110)، (ص1)، بتاريخ: الاثنين 7 ذو الحجَّة 1340هـ، 31 جويلية 1922م.

◆ نَصُّ الفَتْوَى:

«كتبت مشيخةُ العلماء بالإسكندريَّة هذه الفتوى الشَّرعيَّة في تقديم إعانة المجاهدين على الأضحية والزَّكاة، وها هي بِنَصِّهَا:

لقد كثر في هذه الأيَّام سُؤَالُ المسلمين لِعلماء الدِّين بِإِزَاءِ الظُّرُوف الحاضرة عن مسألتَيْن شرعيَّتَيْن، وأَلَحُّوا في طلب الفَتْوَى تارةً بواسطة الجرائد اليوميَّة، وتارةً يحضرون بأنفسهم لهذا الغرض:

إحداهما: هل تُقَدَّم الإعانة للمجاهدين والمجروحين في سبيل الله على الأضحية أم لا؟

---

(1) انظر: «الأعلام» للزِّرِكلي (6/ 330).

وثانيهما: هل يصحُّ أن تدفع زكاة الأموال والحَرْث في الإعانة المذكورة أم لا؟

والجواب على الأولى: أنَّه لا خلاف بين الأئمَّة في فرضيَّة إعانة المجاهدين بحيث يأثم ويرتكب جُرْمًا عظيمًا مَن لم يقم بهذه الفريضة، بِخِلَافِ الأضحية، فإنَّها مطلوبةٌ طَلَبًا مرجوحًا عن طلب الإعانة بِتَفَاوُتٍ كبير، وإذا تَعَارَضَ مطلوبان، أحدهما راجحٌ والآخر مرجوح، قُدِّم الرَّاجِحُ على المرجوح شَرْعًا وعَقْلًا، وحينئذٍ ـ فَقَدِّمِ الإعانةَ للمجاهدين على الضَّحيَّة.

والجواب على الثَّانية: أنَّ مِن أعظم مصارف الزَّكاة شرعًا: مصاريف الجهاد، كما قال تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[التوبة:60]. بَصَّرَنَا اللهُ تعالى لِإِدْرَاكِ أَحْكَامِ وحِكَمِ الشَّريعة الغَرَّاء، ووَفَّقَنَا للعمل بِمَا فِيهِ المصلحة، آمين. «شيخُ علماء الإسكندريَّة: محمَّد أبو الفضل»» اهـ.

مُلَخَّصُ خُطْبَةِ عيد الأضحى في جامع وُوكِنْجْ بِلُنْدُنْ (Woking)

سَنَة 1349هـ

ألقاها رئيس المجلس الإسلامي الأعلى بفلسطين: الحاج أمين أفندي الحُسَيْنِي

◆ مُلَخَّصُ خُطْبَة عيد الأضحى الَّذي نشرته جريدة «الجامعة العربيَّة»، التَّي تصدر بِالقُدْس الشَّريف (لصاحبها مُنِيف الحسيني) [العدد (383)، بتاريخ: الجمعة 3 المحرَّم 1349هـ= 31 ماي 1930م] = تحت عنوان (الخطبة الَّتي ألقاها سماحة رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في يوم العيد الأكبر على جمهور المسلمين في جامع وُوكِنْجْ بِلُنْدُنْ):

«أَمَّا بعد فهذا يَوْمُ العِيدِ الأكبر، الَّذي يحتفل فيه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، وفيه يُحِيطُ بيتَ الله الحرام كُلُّ من استطاع إليه سبيلًا، وتخفق فيه قلوب المُوَحِّدِين راجيةً عفو الله ورضاه، ذاكرةً ما في التَّضحية من المقاصد النَّبيلة، مادِّيَّة ومعنويَّة، معتبرين بِذِكْرَى التَّضحية الَّتي قام بها سيِّدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، بِاستعداده لِذَبْحِ ابنه إطاعةً لله، وعملًا بعقيدته وإيمانه. وقد ذكرها الله في القرآن الكريم بِقوله: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي

ٱلْأَٰخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾

[الصَّافَّات:102ـ111].

وادَّكِرُوا بِقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾ وبِقوله في سورةٍ أخرى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[الرُّوم:30]، ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[الحج:78]، واعلموا أنَّ معنى الإسلام ومُسْلِم، إِنَّمَا هُوَ تَسْلِيمُ المؤمن زِمَامَهُ إلى الله، فيعمل بأوامره.

فاعتبروا ـ رحمكم اللهُ ـ بهذه الحِكْمَة العالية، إذ يُضَحِّي المؤمن الرَّحيم القلب بِابْنِهِ وهوَ أَعَزُّ ما في الوجود لَدَيْهِ في سبيل عقيدته وإيمانه. وانظروا كيف يُنَجِّي اللهُ الَّذين يتبعون أوامره ويستعدُّون للتَّضحية في سبيله. فبِهَذِهِ الرُّوح العالية، رُوح التَّضحية في سبيل الله (الَّتي كان سيِّدنا إبراهيم مَثَلَهَا الأعلى) اعْتَزَّ المسلمون في سَالِفِ الأيَّام، وبِفَقْدِهَا اليومَ يَرْزَحُونَ تحت أثقال الذُّلِّ والهَوَان.

فالعِيدُ الأكبر عِيدُ الأضحى إِنَّمَا هُوَ احتفالٌ سَنَوِيٌّ لإِحْيَاءِ رُوح التَّضحية وقوَّة الإيمان في نفوس المسلمين، فلولا التَّضحية لَمَا قام دِين، ولا اعْتَزَّت مِلَّة، ولا ارتفعت أُمَّة.

ولقد كان المسلمون أَعِزَّاء حينما كانوا يعملون بتعاليم دينهم، وكانوا كما وصفهم الله بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾﴾ إلى أن يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾﴾[المؤمنون:1ـ10].

فاعملوا ـ رحمكم اللهُ ـ بأوامر دينكم وسُنَنِ نبيِّكم القائل: «تَرَى المُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ فِي السَّهَرِ وَالحُمَّى»[1]، والقائل: «الخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللهِ، فَأَحَبُّهُمْ إِلَيْهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ»[2]، والقائل: «أَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ»[3]، والقائل: «الدِّينُ النَّصِيحَة[4]، الدِّينُ المُعَامَلَة[5]»، والقائل: «إِنَّ اللهَ حَفَّ الإِسْلَامَ بِمَكَارِمِ الأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ»[6].

فاعملوا بِأوامر دينكم القويم، واتَّبِعُوا صِرَاطَه المستقيم تَظْفَرُوا في الدُّنيا والآخرة، واتَّقُوا اللهَ لعلَّكم تُرْحَمُون، يُبْدِلْكُم مِن بَعْدِ خَوْفِكُمْ أَمْنًا، ومِنْ بَعْدِ ذُلِّكُمْ عِزًّا، ومِنْ بَعْدِ ضَعْفِكُمْ قُوَّة، فَـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الرعد:11]، وَ: ﴿ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾[التَّوبة:105]، ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النَّجم:39ـ41]، ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران:103]، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، فَـ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحُجُرات:10]، ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[المائدة:2]، ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا

---

(1) صحيحٌ: البخاري (6011) ومسلمٌ (2586).

(2) ضعيفٌ جدًّا: انظر «ضعيف الجامع الصَّغير» للألباني (2946).

(3) صحيحٌ: انظر «السِّلسلة الصَّحيحة» للألباني (72).

(4) صحيحٌ: مسلمٌ (55).

(5) لا أصل له: انظر «السِّلسلة الضَّعيفة» للألباني (5/ 11).

(6) لا أصل له: ذكره الغزالي في «الإحياء»، وقال العراقي: لم أقف له على أصل!

يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[يوسف:87]، ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:139]» اهـ.

جامع ووكِنج (*Woking*) بِلُنْدن

الدَّعوة ضِدَّ المملكة العربيَّة السُّعُوديَّة والحَج

من حديث صُحُفِيٍّ لِجلالة الملك عبد العزيز آل سُعُود ـ 1352هـ= 1933م

◆ نشرت جريدة «الجامعة العربيَّة»، التَّي تصدر بِالقُدْس الشَّريف (لصاحبها مُنِيف الحسيني) [العدد (1063)، بتاريخ: الثُّلاثاء 8 المحرَّم 1352هـ= 2 أيار 1933م، (ص3)] = (حديث صحفي خطير لجلالة الملك عبد العزيز آل سعود)، أقتطفُ منهُ مَا يَلِي:

«تَحَدَّثَ حضرةُ صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود بحديثٍ طريفٍ للأستاذ محمَّد شفيق، صاحب جريدة «الرِّياض»، ننشره للقُرَّاء فيما يلي لأهمِّيَّته:

استهلَّ جلالتُه الحديث بالكلام عن الحَجِّ وما اتَّخَذَتْهُ حكومتُه مِن ضروب الإصلاح لِتوفير راحة الوافدين على بيت الله الحرام وما اعْتَزَمَتْهُ مِن تنفيذ مشروعاتٍ اقتصاديَّةٍ هامَّة .....

الدَّعْوَة ضِدَّ الحِجَاز والحَجِّ

س ــ رأينا بعض الصُّحف تكتب ضِدَّ الحجاز لِغايةٍ في نفسها، لا سيَّما وقت موسم الحَجِّ، مِمَّا قد يكون له بعضُ التَّأثير. فما هو موقف حكومتِكم إزاء ذلك؟

فأجاب جلالتُه:

إنَّ ما تكتبه تلك الصُّحف ضِدَّ الحجاز عن الحَجِّ لأجل تَثْبِيطِ عزائم المسلمين عن الحَجِّ، ليس في الحقيقة ضِدَّ الحجاز بل ضِدَّ الدِّين وأركان الإسلام، ودَعْوَةٌ المسلمين لِيخرجوا عن دِينِ الله؛ بِإهْمَالِهِم رُكْنًا مِن أركان الإسلام، وفي هذا ضَرَرٌ لِضعفاء الحجاز، ولكنَّ الله تعالى يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[التوبة:32].

ولا أعتقد أَنَّ هناك كاتبًا مسلمًا يَدْعُو ضِدَّ الحَجِّ، إِلَّا إذا كان كافرًا بِرَبِّ العالمين، أَمَّا إذا كان للطَّعْن في الحكومة العربيَّة، فحُكُومَتُنَا ـ وللهِ الحَمْد ـ تَعِيشُ في بلادها مُسْتَعِينَةً بِاللهِ ثُمَّ بِكلمة التَّوحيد، للمحافظة على شَرَفِهَا وشَرَفِ شَعْبِهَا، فإذا كانت حُكُومَتُنَا في رفاهية، فِلِشَعْبِهَا الخَيْر، وإذا كانت على عكس ذلك فَلِشَعْبِهَا.

.....

كلمةٌ إلى العالم الإسلامي

قلت: هل تتفضَّلون جلالتكم بِتوجيه كلمةٍ إلى العالم الإسلامي؟

فقال جلالتُه وعَلَائِمُ الاهتمام باديةٌ على وجهه: إِنِّي أَدْعُو العالمَ الإسلامي إلى ثلاثة أمور:

الأوَّل ــ التَّمَسُّك بِدِينِ اللهِ بِالتَّمَسُّك بِأركانه الخمسة.

الثَّاني ــ التَّعَاضُد والتَّآخِي على ما فيه خيرُ المسلمين ودَرْء الفِتَن والفُرْقَة بين المسلمين.

الثَّالث ــ التَّثَبُّت مِن قَوْلِ المولى الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[الحُجُرات:6].

فإذا عَمِلَ المسلمون بِذلكَ أَصْلَحَ اللهُ لهم دِينَهُم ودُنْيَاهُم وكَفَاهُمْ شَرَّ مَكْرُوه.

واللَّهُمَّ أَسْأَلُهُ أَنْ يُوَفِّقَ الإسلامَ والمسلمين، آمين. وإلى هُنَا انتهى الحديث ... » اهـ.

الأُخُوَّة الإنْسَانِيَّة ـ اليَهُودُ إخوَانُنَا ... =كَذَبُوا وَاللهِ!

مِن تصريحٍ لِجلالة الملك ابن سُعُود عن اليهود وأضرار تقليد المسلمين للأُرُوبِّيِّين

نشرت جريدة «الجامعة العربيَّة»، التَّي تصدر بِالقُدْس الشَّريف (لصاحبها مُنِيف الحسيني) [العدد (592)، بتاريخ: الأحد 7 المحرَّم 1350هـ= 24 مايس 1931م] = تحت عنوان (خطاب لجلالة الملك ابن سعود = تصريح خطير لجلالته عن اليهود = أضرار تقليد المسلمين للأوربِّيِّين): «أَلْقَى حضرةُ صاحب الجلالة الملك ابن سُعُود خطابًا قيِّمًا في المأدبة الكبرى الَّتي أقامها جلالتُه في القصر المَلَكِي قبل حلول عيد الأضحى المبارك؛ لِعظماء المسلمين القادمين إلى مَكَّة لأداء فريضة الحَجِّ .... أشار فيه إلى تضامن المسلمين وضرورة اعتصامهم بِحَبْلِ الله، ثُمَّ شرح أسباب تَدَهْوُر المسلمين وانحطاطهم، ثُمَّ تكلَّم على تقليد المسلمين للأوروبِّيِّين، وها نحنُ نقتطفُ مِن خطاب جلالته الفقرات التَّالية ـ نَقْلًا عن جريدة «أُم القُرَى» الصَّادرة بتاريخ 13 ذي الحجَّة؛ لِمَا فيها مِنَ الموعظة الحسنة والعِبَر وجوامع الكَلِم:

يقولون إنَّ المسلمين في تَأَخُّرٍ، وبَحَثُوا لِيَجِدُوا طريقةً لِتَقَدُّم المسلمين فَمَا وجدوا طريقةً أمامهم إلَّا أن يُقَلِّدُوا الأُورُوبِّيِّين، ولكنَّهم لم يُقَلِّدُوا الأُورُوبِّيِّين بِمَا كان سبب قُوَّتِهِم ومَنَعَتِهِم، بل قَلَّدُوهم فِي مَا لَا يَسُوغُ في دينهم، فقد مضى على هؤلاء الَّذين يَدَّعُون الإسلام عشراتِ السِّنين وهُم يَدْعُونَ النَّاس بِالسِّرِّ والعَلَانِيَة، بِالقَوْل والعَمَل، لِتَقْلِيد الأُورُبِّيِّين، ولكن مَن مِنْهُم عَمِلَ إلى اليوم إِبْرَة أو صنع طَيَّارَة، أو عمل بُنْدُقًا أو مِدْفَعًا؟ لقد قَلَّدُوهم، ولكن في غير ما يَعُودُ عليهم بِالنَّفْع، قَلَّدُوهم فِي مَا يُخَالِفُ ما يَنْتَسِبُ إليه المسلم، وقَلَّدُوا مَلَاحِدَتَهُم في الإعْرَاضِ عن دِينِ الله، ثُمَّ هُمْ بَعْدَ ذلك يَدَّعُونَ أَنَّهُم مسلمون وأَنَّهُم يُدَافِعُون عن الإسلام.

ولقد أصبح الإسلام على ألسنتهم في الأيَّام الأخيرة مِن الألفاظ المَمْجُوجَة الَّتي تَنْبُو عنها أسماعُهم، فإذا دَعَوْا دَعَوْا إلى الأُخُوَّة الإنسانيَّة، أَمَّا الإسلام فَهُم بَعِيدُونَ عَنْهُ وهُوَ بَعِيدٌ عنهم أيضًا بُعْدَ السَّماء عن الأرض، فإذا أَقْسَمُوا أَقْسَمُوا بِشَرَفِ الإنسانيَّة، وإذا دَعَوْا دَعَوْا إلى أُخُوَّتِهَا، ومنهم مَن يُرِيدُ بِذَلِكَ أن يُؤَاخِي مَن لَا تَجْمَعُهُ بِالمسلمين جامعةٌ ولا تَرْبِطُهُ بِهِ صِلَة.

سَمِعْتُ قَوْلًا لِرَجُلٍ تَصَدَّرَ لِلزَّعامة بين مَن يَدَّعُونَ الإسلام ـ يَقُولُ: يَجِبُ أَن نَتَّفِقَ مع إِخْوَانِنَا اليهود. وأَيُّ صِلَةٍ بِالإسلامِ لِمَنْ يُؤَاخِي اليَهُود؟ وهل هناك لِلمسلم أُخُوَّةٌ غَيْرُ أُخُوَّةِ النَّسَبِ أو الإسلام؟ كَذَبُوا وَاللهِ ثُمَّ كَذَبُوا، إِنَّ الإسلام لَيَبْرَأُ مِنْ كُلِّ بِدْعَةٍ ابْتَدَعُوهَا وخُرَافَةٍ اخْتَلَقُوهَا، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾[الكهف:5]، ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[المجادلة:22]» اهـ.

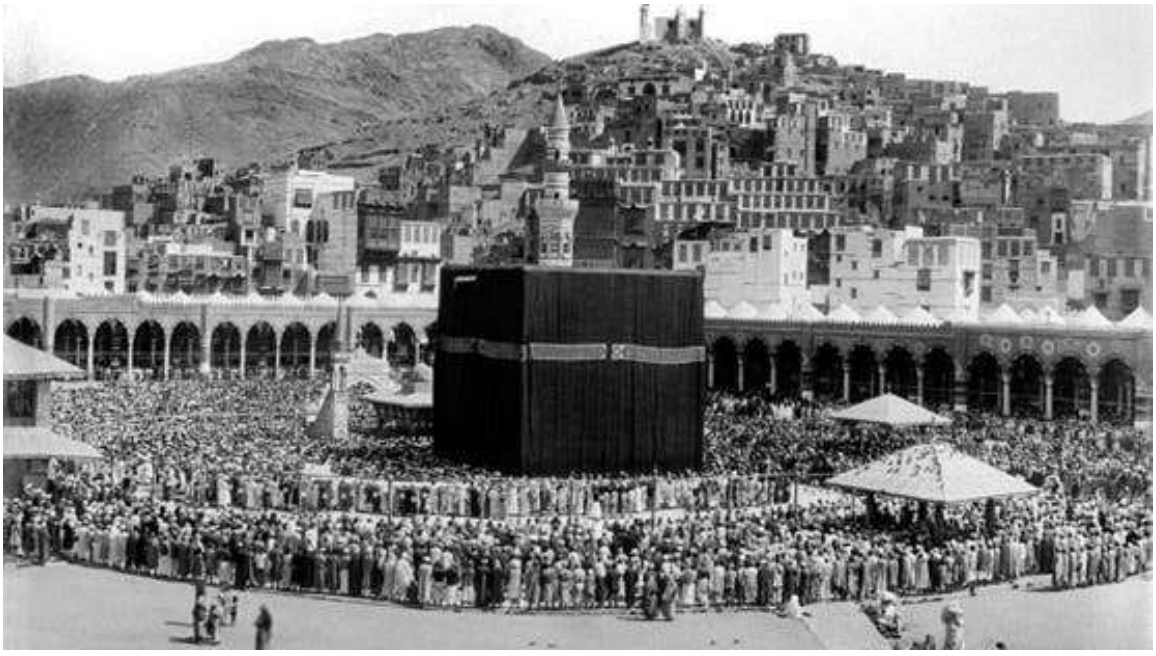

فِي تَوْدِيعِ حَاج: نِعْمَ المُسَافِرُ أَنْتَ!

مِن وصايا الأستاذ الشَّيخ مُبَارَك المِيلِي ـ 21 ذي القعدة 1356هـ= 23 جانفي 1938م.

تحت عنوان (مِن مِيلَة: **إلى الحجاز**)، نشرت جريدة «البصائر»[1] ما يلي:

صبيحة الأحد الحادي والعشرين من ذي القعدة كان توديع أهل ميلة بالنادي الإسلامي لشاب من خيرة شبابها المصلحين هو السَّيِّد الحسين الهشيلي المُتَوَجِّه لأداء فريضة الحج وزيارة المدينة المنوَّرة.....

قام الأستاذ مُبَارَكٌ المِيلِي مُخَاطِبًا لِلمُوَدَّع بِقَوْلِهِ:

أَيُّهَا الأَخُ! أُوصِيكَ أَوَّلًا بِمِثْلَ مَا أَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه فِي مِثْلِ هَذَا المَوْقِفِ إِذْ قَالَ لَهُ:

«لَا تَنْسَنَا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعائِك»[2].

◆ **ثُمَّ أُوصِيكَ بِأَنْ لَا يَكُونَ قِيَامُكَ بِفَرْضٍ سَبَبًا لِضَيَاعِ فَرْضٍ آخَر، فَإِنَّ مِنَ الحُجَّاجِ مَنْ يَتَهَاوَنُ بِالصَّلَاةِ لِضَعْفِ جِسْمٍ أَوْ حُدُوثِ شُغْلٍ.**

---

(1) «البصائر»، السِّلسلة الأولى، العدد (97) (ص5) بتاريخ الجمعة 26 ذي القعدة 1356هـ ـ 28 جانفي 1938م.

(2) **ضعيفٌ**: أبو داود (1500). انظر: «ضعيف الجامع الصَّغير» للألباني (6278).

◆ وَبِأَنْ يَكُونَ ذَهَابُكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي ظَهَرَ بِهَا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ ـ مُقَوِّيًا الرَّحْمَةَ فِي قَلْبِكَ عَلَى أَهْلِهَا، فَإِنَّ مِنَ الحُجَّاجِ مَنْ يَرْجِعُ بِقَسْوَةٍ أَشَدَّ مِنْ ذِي قَبْلُ.

◆ وَبِأَنْ يَكُونَ شَوْقُكَ اليَوْمَ إِلَى مَا هُوَ أَمَامَكَ أَحَرَّ مِنْ حَنِينِكَ إِلَى مَا وَرَاءَكَ.

◆ فَإِذَا عُدْتَ مِنْ هَاتِهِ الرِّحْلَةِ المَيْمُونَةِ ـ عُدْتَ بِذِكْرَى لِتِلْكَ البِقَاعِ الطَّاهِرَةِ، تَبْقَى زَادًا لإِيمَانِكَ لَا يَفْنَى إِنْ شَاءَ الله.

◆ فَسَافِرْ، فَلِنِعْمَ السَّفَرُ سَفَرُكَ، وَلَنِعْمَ المُسَافِرُ أَنْتَ.

◆ تَقَبَّلَ اللهُ عَمَلَكَ الصَّالِحِ، وَبَلَّغَكَ اللهُ أَمَلَكَ فِي الخَيْرِ، وَلَا حَرَمَنَا هَذَا السَّعْيَ المَشْكُورَ. اهـ.

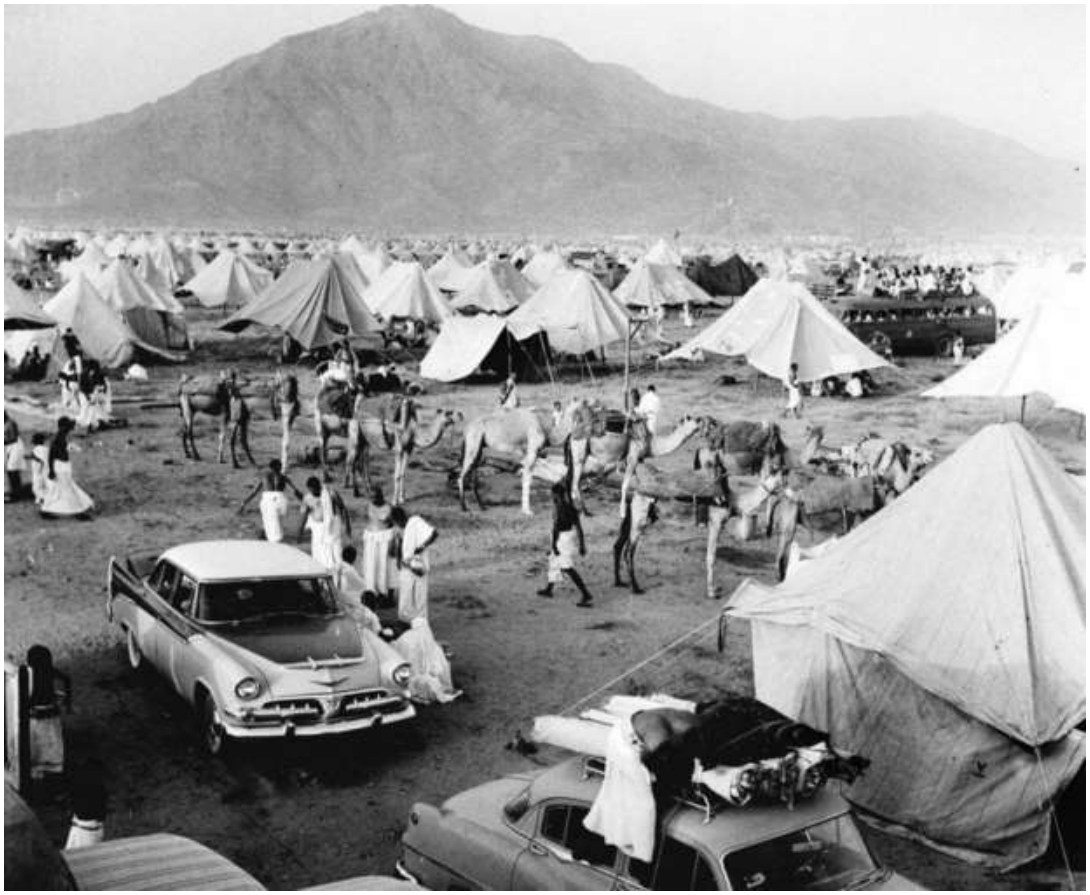

بين قُوَّة الشَّبَاب وحِنْكَة الشُّيُوخ

مِن خطاب الأستاذ الشَّيخ عبد الحميد بن باديس في حَفْلَة عيد النَّحر المبارك ـ 10 ذي الحجَّة 1355هـ=20 فيفري 1937م

أقامت جمعيَّة الشَّبيبة الإسلاميَّة الجزائريَّة بِقسنطينة حفلةً بِكُلِّيَّة الشَّعب بِقسنطينة بمناسبة عيد النَّحْر المبارك، يوم الأحد ليلًا، عاشر ذي الحجَّة 1355هـ، 20 فيفري 1937م، دَعَت لها الأعيان والفضلاء، ومنهم الأستاذ الشَّيخ ابن باديس، الَّذي خَطَبَ أَوَّلًا؛ يقول الشَّيخ علي مرحوم ـ تلميذ الأستاذ ابن باديس ـ في وصف الخطاب: «**خَطَبَ خُطْبَةً جامعةً ماتعةً في حقيقة الشَّبَاب والجمال المعنوي في العِيد وسِرِّ التَّضحية؛ فَحَيَّا الشَّبَابَ أَوَّلًا، ثُمَّ شمل بِتحيَّته الشُّيوخ الَّذين قال عنهم: إِنَّه يكاد يكون منهم، ثُمَّ صَالَ وجَالَ بفصاحته المعهودة وبيانه المعروف وحماسته الوَقَّادة، فأَتَى على حياة الشَّبَاب وأعماله وقُوَّتِهِ الكامنة فيه وجِدِّه واجتهادِه لِفائدة المجتمع، ثُمَّ قَارَنَ قُوَّة الشَّباب ومظهرَه الرَّائع بالجمال المعنوي في العِيد والتَّضحية، وقال: إِنَّ الشَّباب بِحُكْمِ قُوَّتِهِ الحديديَّة وحماسته النِّيرانيَّة هو أقربُ للتَّضحية من كُلِّ أحدٍ بِنَفْسِهِ وجَاهِهِ. وإِنَّ مِن غرائز الشَّباب الاندفاع والاستعجال بِالأُمور، ولو كانت في بعض الأحيان مُضِرَّة، ولكن حِنْكَةُ الشُّيوخ والكهول ورَزَانَتُهم وحِكْمَتُهم تَسِيرُ بِالشَّباب سَيْرًا مَعْقُولًا، فتُمْزَجُ فائدة الشُّيوخ والكهول والشَّباب ببعضها، فتظهر بالمظهر النَّافع المفيد،**

لَوْ تُرِكَ الشَّبابُ لِنَفْسِهِ يَسِيرُ سَيْرَهُ حسب هواه وقِوَاهُ لَوَقَعَ فِيمَا لا تُحْمَدُ عُقْبَاهُ»

اهـ[1].

وَصَايَا ومَوَاعِظ:

نَصِيحَةٌ وإِرْشَادٌ
مِنْ جمعيَّة العلماءِ المسلمين الجزائريِّين
إِلَى وَفْدِ اللهِ مِنْ إِخواننا المسلمين الجزائريِّين
ومَنْ بَلَغَهُ كَلَامُنَا مِنْ إِخواننا المسلمين

■ هذا منشورٌ طبعتهُ ووزَّعتهُ «جمعيَّةُ العلماء المسلمين الجزائريِّين» على السَّادة الحُجَّاج، في عام 1353هـ:

«قد جرت عادةُ النَّاس من قديم عند قدومهم من الحجِّ أن يمكثوا في بيوتهم أيَّامًا ثلاثةً أو سبعة، يقتبلون الزَّائرين والمُهَنِّين، ويُنفقون في ذلك ما قد يبلغ شَطْرَ ما أنفقوا في الحجِّ أو يقاربه أو يجاوزه بِحَسَبِ حالهم وعدد معارفهم، ويحسبون أنَّهم بذلك يُعَظِّمون الحجَّ والحُجَّاج ويتقرَّبون إلى الله بذلك التَّعظيم.

وفي هذا مفسدتان عظيمتان: **إحداهما**: بِالقعود عن مساجد الجماعات، وذلك من شأن المنافقين الَّذين هَمَّ النَّبيُّ ﷺ أن يحرقَ عليهم بيوتهم، وقبيحٌ ـ والله ـ بِمن جاء مِن بيتِ اللهِ وحَرَمِ الله أن

(1) «البصائر»، السِّلسلة الأولى، العدد (57) (ص8)، بتاريخ الجمعة 23 ذو الحجَّة 1355هـ، 5 مارس 1937م.

يتخلَّف عن بيوت الله ويكون في حال أهل هذا الوعيد. **الثَّانية**: بِارتكاب الإسراف والتَّبذير في غير طاعة ممَّا يُعْقِبُ النَّدمَ والحَسْرَةَ وبُغْضَ الله الَّذي لا يحبُّ المسرفين.

ونحن ننصح لإخواننا المسلمين أن يُقلعوا عن هذه العادة الذَّميمة والبدعة الضَّالَّة، الَّتي يزداد قبحها ويعظم إثمها بصدورها من وفد الله وضيوفه الَّذين رجعوا ـ إن شاء الله تعالى ـ برحمته ومغفرته وإكرامه.

ونرشدهم إلى ما يُحَصِّل لهم ولأحبابهم بركةَ الاجتماع في غير رِياءٍ ولا إثمٍ ولا تبذير.

ذلك بِأَن يصبح الحاجُّ في مسجد قريته أو حومته من بلدته يؤدِّي تحيَّة المسجد أو يؤدِّي فريضته ويتلقَّى أحبابه فيه، وقد كان النَّبيُّ ﷺ إذا قدم من سفرٍ ابتدأَ بالمسجد، وما أُسِّست المساجد إلَّا لِذِكْرِ الله وجمع المسلمين على صلواتهم ودروسهم ومصالحهم.

ففي هذا ـ إن شاء الله تعالى ـ الأجرُ الكثير والنَّفعُ الغزير في الدُّنيا والدِّين.

❊❊❊

قد تواترت الأخبار الشَّرقيَّة بما يقاسيه سُكَّان المدينة المنوَّرة مِن جَهْدٍ ومشقَّةٍ واحتياج.

فنحن نَدْعُو إخواننا وَفْدَ الله إلى اغتنام هذه الفرصة العظيمة والمَبَرَّة الكريمة بِالإحسان إلى سُكَّان طَيْبَة الطَّيِّبَة وجِيرَانِ سيِّد المرسلين ـ صلَّى الله وسَلَّمَ عليه وعليهم وآل كُلٍّ أجمعين ـ وعُمَّارِ حَرَمِهِ الأمين ومسجده الكريم، وإذا وُفِّقُوا ـ وهم مُوَفَّقُون إن شاء الله ـ إلى استبدال هذا الإنفاق المشكور المبرور، بِذلك التَّبذير المذموم المَوْزُور، اسْتَجْمَعُوا الخَيْرَ مِن طَرَفَيْه، وحَصَّلُوا الأَجْرَ بِسَبَبَيْه، فعل ما أمروا به وترك ما نهوا عنه ورضي الله عنهم ـ إن شاء الله ـ ورضوا عنه.

❊❊❊

هذه نصيحتُنا إليكم ـ إخواننا ـ جعلها الله سبب الأجر والمثوبة لكم ولنا.

وإِنَّ الجمعيَّة عازمةٌ ـ بإذن الله ـ في الأعوام القابلة على إِيفَادِ عضوٍ مِن رجالها يُذَكِّر الحُجَّاج ويُفقِّههم ويكون مرجعًا لهم في أمر دينهم وأعمال حجِّهم.

واللهَ نسألُ التَّوفيقَ إلى الخير والعون عليه والإخلاص فيه لِوجهه، آمين، والحمد لله ربِّ العالمين.

عن الجمعيَّة: الرَّئيس: عبد الحميد ابن باديس»[1].

الاِحْتِفَال بالحُجَّاج

احتفال جمعيَّة التَّربية والتَّعليم الإسلاميَّة بِحُجَّاج بيت الله الحرام ـ حج 1353هـ

«إثر توزيع منشور جمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريِّين، الَّتي دَعَت فيهِ حُجَّاجَ الأُمَّة للتَّمسُّك بِالسُّنَّة المُحَمَّديَّة، والرُّجوع إلى الآداب الإسلاميَّة، ونَهَتْهُم فيهِ عن بِدْعَة التَّحَجُّب والإِسْرَاف المَذْمُومَيْن، انعقد مجلسُ إدارة جمعيَّتِنا واستدعى أفاضلَ مِن عائلات الحُجَّاج، وتفاوض الجميع في الكيفيَّة الَّتي تُقْتَلَعُ بها هذه العادة، وتُنَفَّذُ بِالفِعْلِ نصيحةُ جمعيَّة العلماء.

تقرَّر بعد المباحثة إقامةُ حَفْلَة تكريمٍ بِنَادِي الاِتِّحاد صبيحة يوم الأحد 10 محرَّم 1354هـ الموافق 14 أبريل [1935م] وهو اليوم الثَّاني مِن قُدُوم الحُجَّاج، وتعريف مَن يُريد زيارة الحُجَّاجِ أن يأتيهم إلى النَّادي، دون أن يُكَلِّفَهُم في بيوتهم.

أَمْسَكَ عقلاءُ النَّاس عن الذَّهاب إلى بيوت الحُجَّاجِ لِتوفير الرَّاحة عليهم وعلى أهليهم، وانتظروا صبيحة الأحد لِيستقبلوهم استقبالًا جميلًا مُنَظَّمًا.

أما مرضى النفوس بداء العناد، ومحاربة السُّنَّة السَّمحاء، فإنَّك تراهم وُفُودًا وُفُودًا يطوفون من دارٍ إلى دار!

.....

(1) «البصائر»، السِّلسلة الأولى، العدد (7)، (ص6) بتاريخ 14 فيفري 1936م.

ازَّيَنَت قاعةُ النَّادي صبيحة الأحد على ذَوْقِ قِسْم الشُّبَّان مِن الجمعيَّة[1]، فالدَّاخل يَرَى على يمينه شَكْلًا هِلَالِيًّا بِالمِنْضَدَات المُصَفَّفَة، تَعْلُوهُ بَاقَاتُ الأزهار، وأطباق الحَلْوَى، وتُحِيطُ بِهِ المقاعدُ الخاصَّةُ بِالسَّادة الحُجَّاج.

وكان القادم الأوَّل هو الشَّاب الحاج أحمد بن نوار مُتَزَيِّنًا بِاللِّباس العربي وعلى رأسه العِقَالُ الجميل، وتتابع قُدُومُ السَّادة الحُجَّاج، وأخذوا مقاعدهم، فكانوا كالعِقْد، والأستاذ الجليل (الحاج) عبد الحميد بن باديس واسطتُهُ المُنِيرَة، وكانت سِمَةُ وَعْثَاء السَّفَر تَعْلُو وجوههم ونُور القُدْس يَسْطَع مُتَلْأْلِئًا على مُحَيَّاهُم، وهم مُسْتَبْشِرُون بِزُوَّارِهِم، مُصَافِحُون لهم بانتظامٍ واحدًا بعدَ واحد، ذاكرون لِنعمة الله، داعون لإخوانهم شاكرون، تدور عليهم كُؤُوس الشَّاهي المُوَرَّد ومشروبات الفواكه وأطباق الحَلْوَى.

أَزِفَت ساعة البيان قاموا قاعة المحاضرات وكانت غاصَّةً بِزُوَّارِهم مِن جميع الطَّبقات، فجلسوا على كراسيهم في مكانٍ خاصٍّ، وصعد الأستاذ إلى مِنَصَّة الخطابة، فرَتَّلَ آياتٍ مِن سورة آل عمران: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾، وآياتٍ مِن سورة الحُجِّ: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾. فمِن شِدَّةِ حُسْنِ ترتيلها كُنَّا متأثِّرين كَأَنْ لم نَقْرَأْهَا مِن قبل، **وهذه مُعْجِزَةُ القرآن تَتَجَلَّى للنَّاس على لسانِ مَن يفقه القرآن**، وبعد التَّصديق والدُّعاء، قام يَنْشُرُ العِظات البيِّنات ويُبيِّن مقاصد الشَّارع مِن الحَجِّ ومناسكه، والتَّربية الإسلاميَّة الَّتي يكتسبها الحَاجُّ من مواقفه الَّتي تُفِيدُهُ في دينه ودنياه، وبَيَّنَ أنَّ علامة الحجِّ المبرور أن يكون الحَاجُّ ـ في اعتقاده، في تديُّنِه، في أخلاقه ومعاملته ــ أحسن حالًا منه قبل حَجِّهِ، مُتَجَافِيًا عن الاعتقادات الضَّالَّة والسَّير في الطُّرق المُعْوَجَّة، مُتَحَلِّيًا بِحِلْيَة الآداب الإسلامية والسُّنَن المحمَّديَّة، فكان خطابُه جامعًا في الموضوع.

أَنَّى لِكاتبٍ أن ينقلَ خُطبَ الأستاذ؛ لأنَّ البيان يأخذه أَخْذًا، فلو كان عندنا مختزِلون لَجمعنا مِن خُطبه مؤلَّفًا جامعًا مُفيدًا.

(1) رئيس قِسْمُ الشُّبَّان في جمعيَّة التَّربية والتَّعليم هُوَ الأستاذ أحمد بُوشْمَال، الَّذي قد يكونُ هُوَ كاتب المقال.

ثمَّ نادى تلميذه الشَّاب الشَّاعر السَّيِّد عثمان[1]، فحرَّكَ أوتار القلوب بقصيدته الَّتي أثبتناها في (صفحة أدب) من هذا العدد.

وَختم الاحتفال بِالدَّعوات الجامعة، وانصرفَ النَّاس شاكرينَ للجمعيَّة عنايتها بِخدمة المجتمع، مُعْجَبين بنظام احتفال التَّكريم.

رجعَ الحُجَّاج إلى مقاعدهم الأولى، فأُديرت عليهم وعلى أعضاء الجمعيَّة كُؤوس المُرَطِّبات ثانيًا، وكان المنظرُ أخَّاذًا بجماله، فَخَفَّ السَّيِّد سراج العربي وأخذ صورةً شمسيَّةً لِتخليد هذا الاحتفال...» اهـ[2].

تَكْرِيمُ حُجَّاجِ بَيْتِ اللهِ الحَرَام

■ **هذا منشورٌ طبعتهُ ووزَّعتهُ «جمعيَّةُ التَّربية والتَّعليم الإسلاميَّة بِقسنطينة»، على السَّادة الحُجَّاج، حج 1354هـ:**

«تبتهج النُّفوس وتنشرح الصُّدور بِقدوم وَفْدِ الله وحُجَّاج بيته المُحَرَّم، حَدِيثِي عَهْدٍ بِتلك الدِّيار المطهَّرة، والآثار الكريمة، فيَوَدُّ كُلُّ مسلمٍ أن يَرَاهُم وأن يلتمس الخَيْرَ مِن الاجتماع بهم.

لكن ذهاب أفواجِ النَّاس إليهم في بيوتهم فيه ما فيه مِن التَّثْقِيل عليهم، والكُلْفَة لأهلهم، والسَّرَف المذموم فيما يضطرُّون لِتقديمه لِقاصديهم، حتَّى لَيَكَادُ يُقَارِبُ الَّذي ينفقونه عند قدومهم ما أنفقوه في حَجِّهِم، وهذا كُلُّهُ مِن الحَرَج والتَّكَلُّف والتَّبْذِير الَّتي نهينا عنها.

فالجمعيَّة تَدْعُو إخواننا المسلمين أن يُقْلِعُوا عن هذه المنهيَّات، وأن ينكفُّوا عن الذَّهاب إلى الحُجَّاج في بيوتهم إِلَّا مَن كان مِن أقاربهم.

---

(1) هو الشَّاعر عثمان بُوقَطَّايَة.

(2) «الشِّهاب»، المجلَّد 11، ج2، غرَّة صفر 1354هـ، ماي 1935م، (ص115-117).

والجمعيَّة قد عزمت على تكريم الحُجَّاج مساء يوم الجمعة القابلة[1] إثر صلاة العصر بِالجامع الكبير إن شاء الله تعالى.

فهِيَ تَدْعُو جميع المسلمين إلى الإتيان إليهم والتَّبَرُّك بهم.

وبهذا نكون قد اجتمعنا بِوَفْدِ الله، في بيت الله، وسَلِمْنَا مِمَّا نَهَى عنه الله، فيتضاعف إن شاء الله الأجر، ويتكاثر المَغْنَم، ويَتَجَلَّى جمال المظهر، ويَحْسُنُ عند الله وعند النَّاس الأثر.

جمع الله قلوبنا على الحق، وأقوالنا على الصِّدق، وأعمالنا على العدل والإحسان، والحمد لله ربِّ العالمين، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته» اهـ[2].

الاِحْتِفَال بالحُجَّاج

مِن احتفال جمعيَّة التَّربية والتَّعليم الإسلاميَّة بقُسَنْطِينَة ـ بالحُجَّاج ـ حج 1356هـ

أقامت «جمعيَّة التَّربية والتَّعليم الإسلامية بِقسنطينة» ـ الاحتفال بالحُجَّاج ليلة الخميس [22 محرَّم 1357هـ]، بمدرستها القرآنية، وسمع وَفْدُ الحُجَّاج الأفاضل «**خطابًا جَمَعَ فَأَوْعَى ارْتَجَلَهُ الأستاذ الشَّيخ عبد الحميد بن باديس ـ رئيس جمعيَّة العلماء، (فأَسْمَع الصُّم وأَنْزَلَ العُصم) بِما أحاط من بديع تصوُّرات الآثار الإسلاميَّة والبقاع المقدَّسة، وما شاهدته أعين ـ الحُجَّاج ـ في جَبَل عَرَفَات مِن الأنوار القُدسيَّة والتَّجلِّيات الرَّبَّانيَّة والطُّمأنينة إلى توحيد الملك الجَبَّار، ثُمَّ عَرَّج على ذِكْر الحضرة النَّبويَّة وزيارة قبره وما تتركه في نفوس أبناء الإسلام تلك الزِّيارة الشَّريفة للنَّبِيِّ محمَّدٍ ﷺ وأصحابه الأُبَاة، وكيف تُحِيل المرء مِن القَسْوَة إلى اللِّين، ومِن الفقر إلى الغنى، ومِن الجهل إلى العلم بِما لم يكن في الحسبان، وحَضَّهم على حُبِّهِم للإسلام الَّذي غرس في قلوبهم الطَّاهرة ـ تَوَطُّدَها ـ على**

(1) لعلَّه 11 محرَّم الحرام 1355هـ.

(2) «البصائر»، السِّلسلة الأولى، العدد (14)، (ص1) بتاريخ 10 أفريل 1936م.

اقتحام عظائم الأمور الَّتي تبعث على ركوب الأهوال وإماطة اللِّثام على ما تَدْعُو إليه الإنسانيَّة السَّمحة وهي الدِّيانة الإسلاميَّة.

فالإسلام لا يستقيم أَمْرُه ـ إِلَّا إذا قامت الأُمَّةُ جمعاء بِواجباته والمحافظة على أركانه الخمس، وأخيرًا أَخْطَرَهُم بِمَدَنِيَّة الإسلام كيف بلغت ذِرْوَة العُلَى وسارت في الأُمَم بِلَا قُوَّة سِلَاح، بل بِتسامحها وبِقُوَّة إيمان، وأَرَاهُم آثار الحضارة الإسلامَّية في بغداد والأندلس، ثُمَّ رَحَّبَ بِالقلوب الطَّافحة بِالإيمان المطمئنَّة إلى عبادة الرَّحمن البريئة مِن الأَوْزَار الخَفَّاقَة بِحُبِّ القرآن، وهَلُمَّ جَرًّا .... القَلَمُ يَعْجَزُ عن وصف الخُطبة الرَّائعة في مَبْنَاها الرَّائقة في مَغْزَاهَا..... «عبد الحفيظ الجَنَّان»»[1].

(1) «البصائر»، السِّلسلة الأولى، العدد (105) (ص1) بتاريخ الجمعة 23 محرَّم 1357هـ، 25 مارس 1938م.

الشَّيخ أحمد حَسُّون السُّودَانِي

مِن تلامذة وأصحاب الشَّيخ عبد الرَّحمن أبو حَجَر الجزائري ـ الجمعة 20 ذي الحجَّة 1357هـ=11 فيفري 1939م

تحت عنوان (حديث الحُجَّاج) كتب مدير ومُحَرِّر «البصائر» الشَّيخ مُبَارَك المِيلِي عن ذهابه إلى «عُنَّابَة» لِملاقاة حُجَّاج عمالة قُسَنْطِينَة يوم الجمعة 24 فبراير 1939م، قال: «حدَّثنا بعضُ الحُجَّاج من أهل العقل والصِّدْق أحاديث نُجْمِلُها فيما يلي»، ومنها ما كتب تحت عنوانٍ فرعيٍّ، قال:

«**الحِجَاز**: بِفَضْل عناية الحكومة السُّعوديَّة لا يزالُ المَثَلَ الكاملَ في الأمن، ولا يزال تَقَدُّمُه في ميدان العِرْفان والعُمْران مُطَّرِدًا، ولا يزال الحُجَّاجُ يَقِفُون كُلَّ سنةٍ على أَثَرٍ جديدٍ لِعنايةِ تلك الحكومة الرَّشيدة بِراحتهم وصِحَّتهم، مِمَّا جعل الأطبَّاء يُعلنون في تقاريرهم بِفَقْد الأمراض المُعْدِية الَّتي قَلَّمَا يَخْلُو الحِجَازُ منها في مواسم السَّنوات الماضية قبل عَهْد هاته الحكومة البصيرة. ولم يكن هذه السَّنَة حَرٌّ مُقْلِقٌ ولا قَرٌّ مُؤْذٍ، بل كان الجَوُّ ملائمًا، وقد نزل المَطَرُ يوم عرفاتٍ.

بِالمسجد النَّبويِّ: يومَ الجمعة العشرين من ذي الحجَّة صعد على سَدَّةِ المسجد النَّبويِّ إِثْرَ الصَّلاة حضرةُ المِقْدَام الشَّيخ أحمد الحَسُّون السُّوداني مِن متوظِّفِي البريد بِالخرطوم، فتَلَا على ذلك الجمع الحاشد آيةَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ﴾ ... [الأنعام:159] وأَعْقَبَهَا بِحَمْلَةٍ عنيفةٍ على مسلمي العصر الَّذين فَرَّقَتْهُم المذاهبُ والطُّرُقُ والنِّحَلُ مذاهبَ متعادية أو شِبْهَ متعادية، واشْتَدَّ في خطابه شِدَّةً لم يتحمَّلها مَن اعتادوا سماع القَوْلَ الرَّقيق والعظات المَيِّتة، فكانت ضَجَّة لم تَنْتَهِ إِلَّا بِتداخل أحد أعوان المحافظة في إنزال الخطيب

مِن السَّدَّة. وقد كان على أولئك الصَّاخِبين أن يتأدَّبوا في المسجد النَّبويِّ فَلَا يرفعوا فيه أصواتهم رَفْعًا فَوْضَوِيًّا، وأَنْ لَا يُسارعوا إلى إساءة الظَّنِّ بِالخطيب الواعظ، ويَرْضَوا عن حياتهم الَّتي سقطت بِالإسلام وأهله دركاتٍ في الخُمُول والهَوَان، وأَنْ يَتَبَيَّنُوا قَوْلَه، ثُمَّ يسألوا أهل الذِّكر عَمَّا اشْتَبَهَ عليهم منه.

وَنَهْجُ سَبِيلِي وَاضِحٌ لِمَنِ اهْتَدَى/ وَلَكِنَّهَا الأَهْوَاءُ عَمَّتْ فَأَعْمَتِ[1]

تَعْلِيقٌ:

ترجم للشَّيخ أحمد حَسُّون السُّوداني: الباحثُ أحمد محمَّد طاهر عمر ـ في بحثه الموسوم بِـ «**جماعة أنصار السُّنَّة المحمَّديَّة وجهودها في نشر عقيدة السَّلَف: عرضٌ ونَقْد**» (رسالة دكتوراه في العقيدة، كلِّيَّة الدَّعوة وأصول الدِّين، جامعة أم القرى، مكَّة المكرَّمة، 1421هـ ـ 1422هـ)، وهذا تلخيصُ ما ورد فيه:

ـ هو أحدُ النُّخبة الأوائل الَّذين أسَّسوا جماعة أنصار السُّنَّة المحمَّديَّة في السُّودان، وهم ثلاثةٌ: الشَّيخ أحمد حسُّون ـ موظَّف في مكتب بريد [مدينة] النهود، والشَّيخ يوسف أبُّو شيخ الطَّريقة التِّيجانيَّة وشيخ معهد النهود، والشَّيخ عبد الرَّحمن أبو دقن قاضي مدينة النهود. وقد كانوا يجلسون في حلقات الشَّيخ عبد الرَّحمن أبو حجر الجزائري الَّذي كان يُدرِّس العقيدة السَّلفيَّة في مدينة النهود حوالي عام 1917م، فتعلَّموا منه دعوةَ التَّوحيد. [(ص116)].

ـ نُقل الشَّيخ أحمد حسُّون إلى أم درمان، وعُيِّن وكيلًا للتلغراف، وكان أوَّل من جهرَ بدعوة التوحيد مظهرًا عقيدتَه السَّلفيَّة [(ص295)].

ـ كانت العقيدة السَّلفيَّة حبيسةً في صدور أولئكَ الثَّلاثة وغيرهم إلى عام 1934م، حينَ أعلنَ الشَّيخ أحمد حسُّون عن قيام درسٍ في منزله، واستمرَّ الدَّرس إلَّا أنَّ الشَّيخ أحمد حسُّون كان يستعمل

---

(1) «البصائر»، السِّلسلة الأولى، العدد (155) (ص8) بتاريخ الجمعة 3 مارس 1939م.

أسلوب التَّحدِّي مِمَّا جعل علماء المعهد العلمي بِأم درمان يُضْرِمُون نارَ الحرب ضدَّه [(ص118)].

ـ يقول الشَّيخ محمَّد الفاضل التقلاوي: «ولمَّا نُقل الشَّيخ أحمد حسُّون إلى أم درمان وكيلًا للتِّلغراف بدأ يدعو جهرةً إلى السَّلفيَّة ويُحارب في صراحة، وتحدَّى البدعَ والخرافات، فثار عليه الصُّوفيَّةُ عمومًا و[الطَّريقة] الخَتْمِيَّة خصوصًا، وكان موقفه حديثَ المجالس والمساجد والنَّوادي حتَّى مجتمعات النِّساء في المآتم والقرآن، وتحرَّشت به الغوغاء والرَّجرجة والسَّفلة واعتدوا عليه بِالضَّرب والشَّتائم القذرة، وحَصَبَ بعضُهم دارَه في اللَّيالي المظلمة، فلم يزده ذلك إلَّا جُرأةً وتحدِّيًا» اهـ. [(ص299ـ300)].

ـ كانت جهود الشَّيخ أحمد حسُّون متركِّزةً على الوعظ والإرشاد في المساجد والسَّاحات وأماكن تجمُّع النَّاس، فلم يكن له عملٌ في مجال التَّأليف، بل كان جهاده بالكلمة والحديث، وقد طوَّف كثيرًا مِن مُدُن السُّودان المهمَّة داعيًا إلى عقيدة التَّوحيد صابرًا على ما يُلاقيه في سبيلها. [(ص300)].

ـ **تذكر بعض المصادر**: أنَّه بعدما أُحيل على التَّقاعد انتقل إلى المملكة العربيَّة السُّعوديَّة.

ـ وهناكَ وفي أوَّل عام 1952م صدر الأمر المَلَكِي بِتَعْيِينِهِ واعظًا في المسجد الحرام وما يليهِ [(ص298)].

ـ ولد في عام 1897م، ولم يذكر الباحث تاريخًا لوفاته.

ـ **وقد وجدتُ في مصادر أخرى**: أنَّهُ تُوُفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ في عام 1976م.

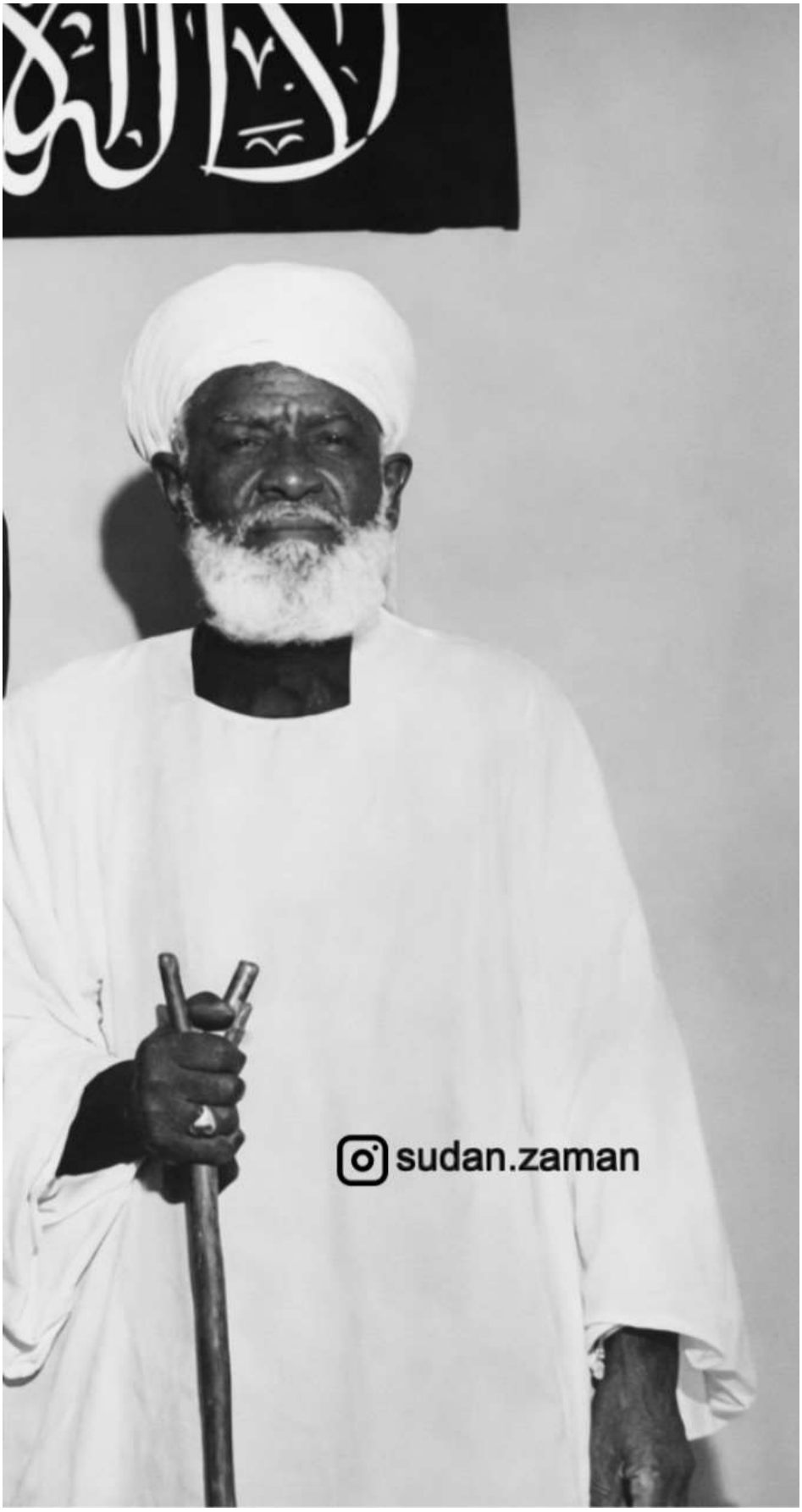

■ صُورة الشَّيخ أحمد حَسُّون السُّوداني (1897م ـ 1976م)

❖ قال الأستاذ الشَّيخ عبد الحميد ابن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«المَعْدِنُ الجَزَائِرِي مَعْدِنٌ ذَهَبِيٌّ لَا يَنْقَطِعُ وَإِنْ دَقَّ»

[صحيفة «الشِّهاب»، العدد (15) (ص2)]

ومُنَاسَبَةُ هذهِ الكلمة وسياقُها: عند حديثه عن تأسيسه (جريدة سياسيَّة تهذيبيَّة انتقاديَّة)، هي صحيفةُ «المُنْتَقِد»، حيثُ قال: «وما ظهر مشروعُنا في عَالَم الوجود حتَّى رأينا مِن الأدباء والمُفَكِّرين أرباب الأقلام البليغة والأفكار السَّامِيَة ما شجَّعنا، وحَقَّقَ أَمَلَنَا، وأَقَامَ الدَّلِيلَ عَلَى أَنَّ المَعْدِن الجَزَائِرِي مَعْدِنٌ ذَهَبِيٌّ لَا يَنْقَطِعُ وَإِنْ دَقَّ». اهـ.

❖ قال الأستاذ الشَّيخ عبد الحميد ابن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«المَشَارِيعُ الخَيْرِيَّة العَظِيمَة ... تُبْنَى عَلَى المَبَادِئ الحَسَنَة، لَا عَلَى الأَشْخَاص المُعَيَّنَة»

[صحيفة «البصائر»، السِّلسلة الأولى، العدد (58) (ص8)]

ومُنَاسَبَةُ هذهِ الكلمة وسياقُها: احتفالُ جمعيَّة التَّربية والتَّعليم الإسلاميَّة بقسنطينة، ليلة عيد الأضحى المبارك: 10 ذو الحجَّة 1355هـ، 21 فيفري 1937م، بِكُلِّيَّة الشَّعب، ولِغَيْبَة الشَّيخ الرَّئيس عبد الحميد بن باديس في الجزائر العاصمة، تعذَّر عليه حضور الاحتفال، وتَلَا نَائِبُهُ الشَّيخ أحمد بُوشْمَالْ «على الحاضرين نَصَّ البَرْقِيَّة الَّتي بعثها الأستاذ الشَّيخ عبد الحميد؛ يَعْتَذِرُ فيها ويَتَأَسَّفُ عن عَدَمِ حضوره في ذلك الاحتفال الباهر، ويَشْكُرُ العاملين والمُؤَيِّدين للمشاريع الخيريَّة العظيمة، الَّتِي تُبْنَى على المبادئ الحَسَنَة، لَا عَلَى الأشخاص المُعَيَّنَة» اهـ.

النُّكَتُ على كتاب «أحكام الجنائز» - 3 -

❸ لم يذكر الشَّيخ ناصر رَحِمَهُ اللَّهُ في أحكام غُسْل الميِّت: مسألة تقليم أظفار الميِّت ونَتْف إبطه وقصِّ شاربه وحَلْقِ عانته. وإنَّما أشار إليها في فصل البدع (ص244)، قال: (13-**تقليم أظافر الميت وحَلْق عَانَتِه**). وأحالَ في عَدِّ ذلك مِن البِدع على المصدرَيَين الآتيين: [المدوَّنة للإمام مالك (1/ 180) والمدخل لابن الحاجِّ المالكي (3/ 240)].

*****

■ **قلتُ**: هذه المسألة اختلَف فيها السَّلَف والخَلَف، والَّذي اختاره الشَّيخ ناصر هُنا هُو مذهب مالِك، حيثُ قال في «المدوَّنة»: «**أَكْرَهُ أن.... تُقَلَّم أظفارُه أو تُحْلَق عانتُهُ، ولكن يُترَكُ على حَالِهِ. قال: وأرى ذلك بدعةً مِمَّن فَعَلَهُ**» اهـ. [ومِثْلُهُ في «المعونة» للقاضي عبد الوهاب المالكي]

والكراهةُ أيضًا مذهب أبي حنيفة، والشَّافعي في قولِهِ القديم وهو الراجح والمختار من مذهبه [كما في «المجموع» للنَّووي]، وهي **مذهبُ الجمهور** [المجموع].

والحُجَّة لمذهبهم: ما قال ابن يونس المالكي في «جامع المدوَّنة» (3/ 977): «**ودليلنا: أَنَّ الأصل أَنْ لَا يُفعَلَ في الميِّت شيءٌ إلَّا بِشَرْعٍ، ولم يَرِد شرعٌ بذلك** ... » إلخ.

وقال النَّووي الشَّافعي: «**ولم يصحَّ عن النَّبيِّ ﷺ والصَّحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم في هذا شيءٌ**» [المجموع].

وقال زكريَّا الأنصاري الشَّافعي: «**ولم يَثْبُتْ فِيهِ شَيْءٌ**» [أسنى المطالب].

وقال ابن قاضي شُهبة: «**فَهُوَ مُحْدَثٌ، وصَحَّ النَّهيُ عن مُحْدَثَاتِ الأُمُور**» [بداية المحتاج].

وممَّن قالَ بِهِ وكَرِهَ ذلك:

ـ محمَّد بن سيرين: قال: «**لا يُؤخذ مِن شعر الميِّت ولا مِن أظفاره**».

رواه ابن أبي شيبة (11054) وعبد الرَّزَّاق (6228) من طريق أيُّوب عنه. وبنفس الإسناد (6234): **يُكْرَهُ أن يحلق عانةَ الميِّت. وهذا إسنادٌ صحيحٌ**.

ـ **وحمَّاد بن أبي سليمان [الفقيه الكوفي]**: رواه عبد الرَّزَّاق (6233) عن الثَّوري قال: سئل حمَّاد عن تقليم أظفار الميِّت، قال: «**أرأيتَ إن كان أَقْلَف أَتَخْتِنهُ؟**».

ورواه ابن أبي شيبة (11055) عن إسماعيل بن عليَّة عن شعبة عنه. **وهذا إسنادٌ صحيحٌ**.

■ ومِن جملة استدلالاتهم بالمعقول والنَّظر:

ـ أنَّ أجزاء الميِّت محترَمة، فلا تُنتَهَكُ بذلك [أسنى المطالب لزكريَّا الأنصاري الشَّافعي].

ـ أنَّه قَطْعُ جُزءٍ مِنهُ [وإزالة شيءٍ متَّصلٍ بهِ خِلْقَةً]، فهو كالخِتَان «**كما لو كان أَقْلَف لا يُخْتَنُ بالإجماع**»، قاله الرُّوياني من الشَّافعيَّة. وقال القرافي المالكي: «**اتَّفَقَ الجميع** – أي المذاهب الأربعة– **على أنَّه لا يُختَن**».

قلتُ: الخِتَانُ للميِّت الأصحُّ أنَّهُ مكروهٌ في مذهب الحنفيَّة والشَّافعيَّة. ولكن ليسَ متَّفقًا عليه عندهم [المعونة للقاضي عبد الوهاب المالكي والمجموع للنَّووي الشَّافعي وبحر المذهب للرُّوياني الشَّافعي وبدائع الصَّنائع للكاساني الحنفي].

*****

■ ويُقابِلُ مذهب مَن قال بالكراهة:

مذهب مَن قال باستحباب ذلك: وقد ذَهَبَ إليهِ أحمد والشَّافعي في قوله الجديد، وذهب إليه ابن حزمٍ في «المُحَلَّى».

واحتجَّ أحمدُ في ذلك **بِفِعْلِ سعد بن أبي وقَّاصٍ** رضي الله عنه:

ـ رواهُ عن وكيع، عن سفيان، عن خالد الحذَّاء، عن أبي قلابة: «**أنَّ سعدًا جَزَّ عانةَ ميِّتٍ**» [رواه عنه ابنه عبد الله كما في «مسائله» عن أبيه].

قلتُ: **إسنادهُ صحيحٌ إذا كان أبو قلابة أدركَ وَسمع سعدَ بن أبي وقاص، وإلَّا فروايتُهُ مُرسلَةٌ عنه**.

وفي رواية صالحٍ عنه: «سُئِل هل تُقْلَم أظفار الميِّت ويُؤْخَذُ مِن شعَره ويُقَصُّ شاربُه؟، قال: إذا كان شيئًا فاحشًا؛ **فإنَّ سعد بن أبي وقَّاص** رضي الله عنه **غَسَل ميِّتًا فدَعَا بِمُوسَى**» [التَّعليق الكبير للفرَّاء].

قلتُ: فِعْلُ سعد بن أبي وقاص: رواه -أيضًا- ابن أبي شيبة في «المُصَنَّف» (11056) و(11060)، وعبد الرَّزَّاق (6235) [ومن طريقه: ابن المنذر في «الأوسط» (2938) وابن حزم في «المحلَّى»]، من طريقِ خالد به....

ـ قالوا:

أَثَرُ سعدٍ لا يُعرَف له من الصَّحابةِ مخالفٌ [التَّعليق الكبير للفرَّاء والمحلَّى لابن حزم].

ـ وممَّا استدلَّ به أصحاب هذا المذهب:

ـ حديث: «**افْعَلُوا بِمَوْتَاكُمْ كَمَا تَفْعَلُونَ بِأَحْيَائِكُمْ**»، ويُروى: «**بِعَرُوسِكُم**». قال ابن الصَّلاح: بحثتُ عنه فلم أجده ثابتًا، واللهُ أعلمُ [شرح مشكل الوسيط]. وقال ابن الملقِّن: هذا الحديث لم أرَ مَن خرَّجهُ اهـ.

*****

■ ومن جملة استدلالاتهم بالمعقول والنَّظر:

ـ أنَّها فطرةٌ، وَيؤيِّده عُمُومَاتُ سُنَن الفِطْرَة [التَّعليق الكبير للفرَّاء وشرح منتهى الإرادات للبهوتي والمحلَّى لابن حزم].

وكما يُسَنُّ في حياته، فكذلك بعد وفاته، مِن غير ضررٍ في ذلك ولا أَلَمٍ [الزَّركشي على الخِرَقِي والحاوي للماوردي الشَّافعي].

ـ أَنَّهُ تنظيفٌ، والنَّظافةُ مقصودةٌ في حقِّ الميِّت، فشُرِع في حقِّه كإزالة الوسَخ [الزَّركشي على الخِرَقِي وشرح منتهى الإرادات للبهوتي والتَّعليق الكبير للفرَّاء والمجموع للنَّووي].

ـ وأمَّا قياسُ مَن كرهَ ذلكَ على الخِتَان، فقال ابن حزم: «احتجَّ بعضهم بأن قال: فإن كان أَقْلَف أَيُخْتَن؟ قلنا: نعم، فكان ماذا؟ والخِتَان مِن الفطرة» [المحلَّى].

*****

■ وممَّن قال بذلك من السَّلَف:

ـ **سعيد بن المُسَيِّب وسعيد بن جُبير** [المجموع للنَّووي].

ـ **الحسَن البصري**: روى عبد الرَّزَّاق (6228) عن معمر: قال الحسَن: «**إن كان ظفره طويلًا فاحشَ الطُّول أخذ منه**».

ورواه ابن أبي شيبة (11055) عن ابن عُلَيَّة عن شُعبة عن منصور عن الحسن قال: «**تُقْلَم أظفار المَيِّت**». **وهذا إسنادٌ صحيحٌ**.

ـ **بكر بن عبد الله المُزَنِي**: رواه ابن أبي شيبة (11058) عن يزيد بن هارون عن حُمَيد عن بكرٍ: **أنَّه كان إذا رأى مِن الميِّت شيئًا فاحشًا مِن شَعَر وظفر أَخَذَهُ وقلمَه. وهذا إسناد صحيحٌ**.

وقال الحافظ ابن حجر: رواه ابن أبي شيبة [(11035)] عن محمَّد بن أبي عدي عن حُميد عن بكر قال: «**قَدِمْتُ المَدِينَةَ فَسَأَلْتُ عن غَسْل الميِّتِ، فقال بعضهم: اصْنَعْ بِمَيِّتِكَ كَمَا تَصْنَعُ بِعَرُوسِكَ غَيْرَ أَنْ لَا تَجْلُو؟**» [في المصنَّف: غير أَنْ لَا تخلقه؟]. قال الحافظ ابن حجر: وأخرجه المروزي في «كتاب الجنائز» وزاد فيه: «**فدَلُّوني على بَنِي ربيعةَ فسألتُهُم** ... » فذكره، وقال: «**غيرَ أَنْ لَا تُنَوِّر**». قال الحافظ: **وإسناده صحيحٌ، لكن ظاهرُهُ الوقف**. [التَّلخيص الحبير]

*****

■ **تفريعٌ**:

1 ـ مِن الحنابلة –وهم القائلون بالاستحباب– مَن صحَّح في مذهبهم: أنَّ العانةَ لا تُؤخذُ؛ «لِمَا فِيهِ مِن لمس العورةِ، وربَّما احتاج إلى النَّظَر وهو محرَّمٌ، فلا يُفعَل لأجلِ مندوبٍ» [المبدع لابن مفلح].

وقال ابن قدامة في «المغني»:

ـ فيهِ: «هَتْك الميِّت وذلك مُحَرَّمٌ، لَا يُفعَل لغير واجبٍ».

وقال:

ـ «ولأنَّ العورة مستورةٌ، يُستَغنَى بِسَتْرِهَا عن إِزالتِها».

قلتُ: وأفتى بذلك من المعاصرين: الشَّيخ ابن باز.

*****

2 ـ والَّذين ذهبوا للاستحباب قالوا: يُزيلُ الشَّارب بالمِقَص، ويُزيلُ شعر الإبط والعانة [على التَّخيير] بالمقصِّ أو المُوسَى أو النُّورَة، فإن نَوَّرَهُ غسَل موضع النُّورة. قالهُ جمهور الشَّافعيَّة –وهو المذهب عندهم–وجمهور الحنابلة [المجموع والإنصاف للمرداوي الحنبلي].

وقيلَ: يتَعيَّنُ النُّورَة في العانة لِئَلَّا ينظر إلى عورتِهِ، ولأنَّها أَرْفَقُ بِهِ وَأسهل مِن الحَلْق بالحديد [المجموع والإنصاف للمرداوي الحنبلي والحاوي للماوردي الشَّافعي].

ونصرَ النَّووي الشَّافعي الأوَّلَ، وقال: «**لكن لا يَمَسُّ ولا يَنْظُرُ مِن العورة إلَّا قَدْرَ الضَّرُورَة**» [المجموع].

وقال المرداوي الحنبلي: «**وعلى كُلِّ قولٍ لا يُبَاشِرُ ذلك بِيَدِهِ، بل يكون عليها حائلٌ**» [الإنصاف].

قلتُ: وأفتى بذلك من المعاصرين: الشَّيخ ابن عثيمين.

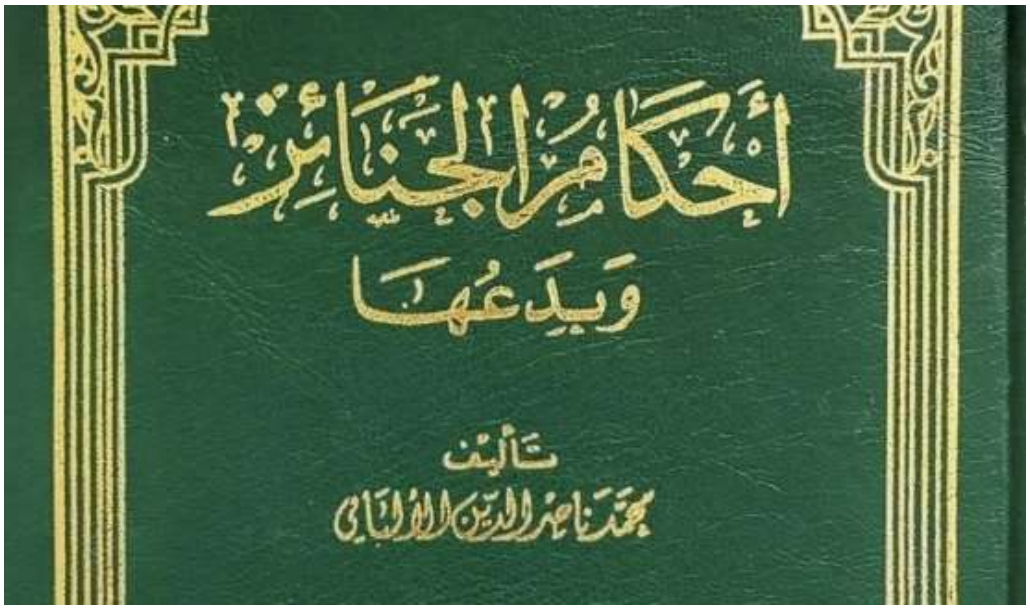

الأَعْلَام للزِّرِكْلِي

للكاتب الكبير الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني في «السِّياسة» الأسبوعيَّة[1]

الأستاذ خير الدِّين الزِّركلي أديبٌ شاعر، وبحَّاثةٌ صبور، وسياسيٌّ بعيد الغَوْر، ووطنيٌّ مجاهد. عرفتُه في رحلة الحجاز على ظهر الباخرة تالودي، وكان من فضل بطئها وضيقها ـ عليَّ ـ أن كشفت لي منه عن جوانب محبَّبة وأخرى رائعة، فتعلَّقت به، ولم أكن قد سمعت حتَّى باسمه، وهذا غريبٌ ولكنَّه الواقع، فكان سلوكي حياله بعد التَّعارف سلوك الأديب المشهور حيال واحدٍ مِن خلق الله والسَّلام، أعني ـ وإن كان الأمر لا يحتاج إلى إيضاح ـ أنِّي كنت أنظر إلى نفسي كأنِّي بطل هذه الرِّحلة، وإليه كأنَّ وجوده غير مفهوم. ولكنِّي لم أعنِّ نفسي بالأمر، وقلت إنَّ لي في البحر منصرفًا عن كلِّ ما لا أفهم أو لا أحب، ولكنِّي مع هذا توخَّيت معه الأدب والتَّواضع ـ على عادتي! ـ غير أنَّ حديثه على المائدة أيقظني ففتحت عيني جيِّدًا وأرهفت له سمعي، وأنا رجلٌ لا يُقبل على الجليس حتَّى يعرف من هو وكيف هو، وقد أنبسطُ حتَّى مع الغرباء كراهةَ منِّي للتَّكلُّف الَّذي لا موجب له، غير أنِّي بعد ذلك أنساهم وأطوي صفحتهم طيًّا ليس له مِن نَشْر، فكأنَّهم ما كانوا. أمَّا الزِّركلي فقد جذبني إليه بِعُنف، ولم أكد أسمع منه كلماتٍ حتَّى أيقنت أنَّ أمره أكبر ممَّا يُبديه تواضعه، وأنَّ شأنه فوق ما توهَّمت لأوَّل وهلة، وجعلت وكدي بعد ذلك أن أوثِّق ما بيني وبينه وأن أغضَّ من كبريائي من غير أن أدعه يفطن إلى انهزامي.

ولمَّا كنَّا في وادي فاطمة ـ في قلب الصَّحراء ـ دنا من الزِّركلي صبيٌّ في الثَّانية عشرة من عمره أو حوالي ذلك، وقال له:

أنت الأستاذ الزِّركلي؟

---

(1) جريدة «الشُّورى»، لصاحبها محمَّد علي الطَّاهر، العدد (310)، القاهرة في يوم الأربعاء 9 رمضان 1349هـ ـ 28 يناير سنة 1931م، (ص2).

قال: نعم، وكيف عرفتني؟

قال الصَّبي: رأيت صورتك.

فسأله: وأنت ما اسمك لأعرفك؟

فقال الصَّبي: إنِّي ما زلت صغيرًا فلا قيمة لاسمي، أمَّا أنت فمشهورٌ معروف.

فسرَّنا من الفتى هذا الإحساس، ومضينا عنه معجبين به، ورحت أنا أفكر في هذا الزِّركلي المشهور الَّذي سار اسمه في الشَّرق وجاب القفار والفدافد حتَّى بلغ هذه الواحة النَّائية، ومع ذلك لم أكن أعرفه ولا كنت قد سمعت به! وأحسب هذا من ذنوبي، فإنِّي أسير في هذه الحياة كالذَّاهل عنها، وكثيرًا ما يخيَّل إليَّ أنِّي كالجواد المشدود إلى مركبةٍ لا يستطيع أن يبصر إلَّا ما هو أمامه، أمَّا ما يكون إلى يمينه أو يساره فهذا يحجبه عن عينيه ما ركَّبه له صاحبه على جانبي وجهه. ذلك أنَّ ما يدور في نفسي يستغرق خواطري ويستبدُّ بانتباهي، ولهذا مزيَّتُه ولكن له أيضًا مساوئُه، وقد تأخذ عيني الشَّيء وأنا غير شاعرٍ بذلك، وترتسم الصُّورة في صدري ـ أو لا أدري أين ترتسم ـ من غير أن أفطن إلى ما حدث، ولا أراها أو أحسُّها أو أنتبه إليها إلَّا حين أخلو إلى نفسي وأُدِير عيني في قلبي ... وليس هذا بعذرٍ ولكنَّه الواقع.

وبعد عامٍ من اتِّصالي بالصَّديق الزِّركلي ـ فقد صار صديقًا أحبَّ إليَّ وأعزَّ عليَّ وأكرم عندي وأجلَّ من كثيرين من أصدقاء العمر ـ أهدى إليَّ كتابًا له اسمه «الأعلام» في ثلاثة أجزاءٍ، يقع كُلٌّ منها في أكثر من أربعمائة صفحة من القطع الكبير، فلمَّا تصفَّحته سألته في كم سنةٍ وضع هذا الكتاب، فقال إنَّه سلخ فيه من عمره خمسة عشر عامًا!

وليست خمسة عشر عامًا بالزَّمن الَّذي يستكثر على كتابٍ كهذا هو عبارةٌ عن معجمٍ لتراجم الرِّجال والنِّساء من العرب والمستعربين في الجاهليَّة والإسلام والعصر الحاضر، مع العناية بضبط الأسماء ـ وتلك وحدها تستنفد العمر ـ والتَّوفيق بين التَّاريخين الهجري والميلادي على الرَّغم من إغفال أكثر المؤرِّخين ذِكْرَ الشَّهر بل العام الَّذي ولد فيه أو توفِّي صاحب التَّرجمة، وحسبك شاهدًا بما لقي من العناء والبَرْح في هذا وحده قوله: «كنت أقف أمام المولود أو المتوفَّى في سنة 435 هـ (مثلًا) فأرى سنة 1043 الميلاديَّة تنتهي في جمادى الأولى وهو الشَّهر الخامس من السَّنة، فلا أدري

أكانت الولادة أو الوفاة أوَّل السَّنة فتُطابقُها سنة 1043م أم في آخرها فتُطابقُها سنة 1044، فلم يكن أمامي بعد إطالة البحث عن الشَّهر غير التَّرجيح مع فقد المرجِّح، ولم أغن عن الإشارة إلى ذلك هنا مخافة أن أتَّهم بارتجال التَّاريخ في عصرٍ كثر فيه مُرْتَجِلُوه».

وقد نبَّه في المقدِّمة إلى كثرة التَّحريف في كتب التَّراجم وإلى التَّعارض الَّذي لا يسهل معه تمييز الصَّحيح من العليل، فقال:

«فاختلاف المؤرِّخين، وتضارب رواياتهم وتعدُّد نزعاتهم، واختلاف النُّسخ من الكتاب الواحد وكثرة الأغلاط في المطبوع والمخطوط، وتداخل أخبار القوم بعضها ببعض، وفقدان العدد الأوفر من مصنَّفات الأقدمين، ومنع بعض الفرق كتبها أن يطَّلع عليها غير أبنائها ـ ذلك، وما هو باليسير، كافٍ لأن يجعل تأليف كتابٍ في «الأعلام» عملًا شاقًّا تكتنفه المصاعب وتعترضه المزالق».

ولذلك دعا أهل العلم إلى نَقْد ما عسى أن يكون قد وقع فيه من خطأ «وبيان ما يبدو لهم من مواطن ضعفه. وقديمًا قال إبراهيم الصولي: المتصفِّح للكتاب أبصر بمواقع الخَلَل فيه مِن مُنْشِئِه».

وقد آثر أن يجعل «ميزان الاختيار، أن يكون لصاحب التَّرجمة علمٌ تشهد به تصانيفه أو خلافةٌ أو ملكٌ أو إمارةٌ أو منصبٌ رفيعٌ ـ كوزارةٍ أو قضاء ـ كان له فيه أثرٌ يحمد، أو رياسةُ مذهب، أو فنٌّ تميَّز به، أو أثرٌ في العُمْران يُذكر له، أو شعرٌ، أو مكانةٌ يتردَّد بها اسمه، أو روايةٌ كثيرةٌ، أو أن يكون أصل نَسَبٍ أو مضرب مَثَل، وضابط ذلك كُلِّه أن يكون ممَّن يتردَّد ذِكْرُهُم ويسأل عنهم.

أمَّا من أغدق عليهم بعض مؤرِّخينا نعوت التَّمجيد وصفات الثَّناء إغداقًا، كما صنع أصحاب «الرَّيحانة» و«اليتيمة» و«السُّلافة» و«سِلْك الدُّرر» وعشرات أشباههم، من إطرائهم قائلَ بيتين واهِيَين من المنظوم بما لا يُطْرَى به صاحب ديوانٍ من الشِّعر، ورصِّهم صفات الإمامة والعلم والهداية والتَّشريع لِرَاوِي حديثٍ أو حديثين، أو لِمتفقِّهٍ لم تُسْفِر حياته عن أكثر من حلقة وعظٍ تغصُّ المعابد بأمثالها كُلَّ يوم ــ فقد تعمَّدتُ إغفال ذِكْرِهِم اجتنابًا للإطالة على غير ما جدوى، ورغبةً في الوقوف عند الحدِّ الَّذي رسمتُه لِنفسي في وضع هذا الكتاب».

من هذه العبارات الَّتي نقلتُها من مقدِّمة «الأعلام» يرى القارئ الغرض من الكتاب والطَّريقة الَّتي جرى عليها في تأليفه والعناء الَّذي كابده في جمعه وترتيبه وضبط مادته. وهذا التَّيسير يكثر عادةً في

مُفْتَتَح النَّهضات القوميَّة لِشِدَّة الشُّعور بِالحاجة إليه. والواقع أَنَّ درس الأدب العربي والتَّاريخ الإسلامي يحتاج إلى تيسيرٍ كثير. وما أكثر من انصرفوا عنهما واجتزأوا بالإلمام السَّطحي أو رضوا لأنفسهم الجهل التَّامَّ به لِشِدَّة المشقَّة الَّتي يعانونها في تحصيل ذلك وكثرة ما يضيع من العمر في سبيله بلا جدوى أو عائدةٍ تستحقُّ الذِّكر، وهذه المشقَّة هي العِلَّة فيما هو ملحوظٌ مِن الجهل الفاشي بالأدب العربي والتَّاريخ الإسلامي في الجيل النَّاشئ، ولا يَسَع المنصف إلَّا أن يعذر أبناء هذا الجيل، فإنَّ السُّهولة الَّتي يُحَصِّل بها الشَّابُّ آداب الغرب وتاريخه وكُلَّ ما عنده من علومٍ وفنون، تجعل صعوبة الأدب العربي والتَّاريخ الشَّرقي أبرز وأبعث على الإحجام عن المعاناة، والمرء مفطورٌ على إيثار ما هو أسهل، بل كُلُّ شيءٍ في الحياة يتوخَّى الطَّريق الأسهل، فالعُودُ النَّابت إذا صادفته حصاةٌ يدور حولها وينفذ من التُّربة اللَّيِّنة ولا يُكَلِّف نفسه أن يخترق الحصى، والماء المنحدر يَحِيد عن الصُّخور إلى الأرض الدَّمِثَة، وهكذا في كُلِّ شيء. ومن هنا كان الجَرْي على المألوف أيسر من افْتِرَاع الطَّريق البِكْر، وكان الابتكار أَقَلَّ مِن التَّقليد، والمحاكاة أكثر شيوعًا وأشدُّ إغراءً للنُّفوس. فالَّذي صنعه صديقنا الأستاذ الزِّرِكلي خدمةٌ جليلةٌ للأدب العربي والتَّاريخ الشَّرقي كُلِّه لا الإسلامي وحده.

وصديقنا الزِّرِكلي شاعرٌ فيَّاضٌ أيضًا، مُشْرِق الدِّيباجة رقيق الحاشية مُحْكم الأداء، وهو فوق ذلك من الوطنيِّين المجاهدين الَّذين يقاسون وحشة النَّفْي عن وطنهم الَّذي تتحرَّق عليه نفوسهم، وإن كان يلقى في مَنْفَاه من الإيناس والتَّقدير ما يُخَفِّف وَقْع هذه الوحشة وإن كان غير حقيقٍ أن (...).

ومن الظَّواهر الَّتي تلفت النَّظر أن الأدباء هم الَّذين رفعوا راية الحركات الاستقلاليَّة في الشَّرق ولا يزالون يُغذُّونها ويُؤزِّرُون نارها ويستحثُّونها، وليس في هذا وجه مُتعجَّب، فإنَّ الأديب بطبيعته أحسن مِن سِواه وأدقُّ شعورًا، فمِن حقِّه أن يكون أسبق إلى نُشْدَان الحُرِّيَّة الَّتي هي حياة كُلِّ أدبٍ صادق. والتَّاريخ شاهدٌ بأنَّ كُلَّ حركةٍ قوميَّةٍ تسبقها دائمًا نهضةٌ أدبيَّة، وإلَّا كانت مُفْتَعَلة، وهذا هو الَّذي يُطمئننا على النَّهضة المصريَّة وأخواتها في الأقطار الشَّرقيَّة. وعندي أنَّه لِرجلٍ مثل حافظ إبراهيم بك من الفضل على الحركة القوميَّة في مصر فوق ما لكثيرٍ من الزُّعماء الَّذين صار قِيَادُ هذه الحركة في أيديهم مهما كان الرَّأي في شِعْرِه، ومن هنا كانَ شِعْر حافظ وثيق الصِّلَة بالتَّاريخ القومي

ملحوظ الأثر على خِلَافِ شِعْر شوقي الَّذي نرجو أن نتناوله في الأسبوع المُقْبِل لِمناسبة ظهور الجزء الثَّاني من ديوانه. «**إبراهيم عبد القادر المازني**»

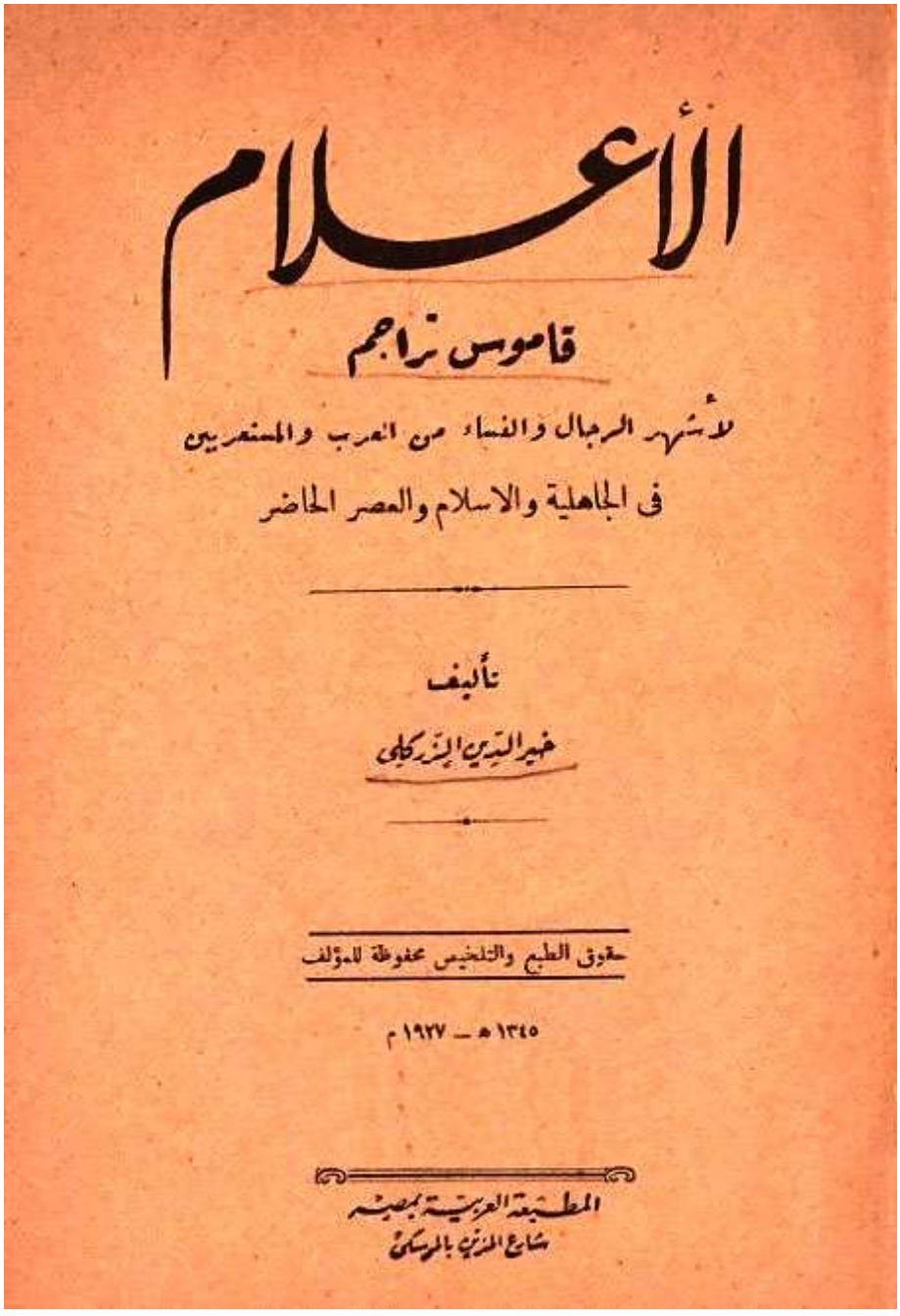
الأعلام

قاموس تراجم

لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين

في الجاهلية والاسلام والعصر الحاضر

تأليف

خير الدين الزركلي

حقوق الطبع والتلخيص محفوظة للمؤلف

١٣٤٥ هـ — ١٩٢٧ م

المطبعة العربية بمصر

شارع المزني بالمرسكي

المَكْتَبَة العُثْمَانِيَّة ـ طُولْقَة

مِن رِحْلَة الشَّيخ الطَّيِّب بن عيسى ـ صاحب جريدة «الوزير» التُّونسيَّة

ـ سنة 1951م ـ

نَشَرَ الشَّيخ الطَّيِّب بن عيسى رِحْلَتَهُ إلى الجزائر في جريدته «الوزير»، في أجزاء متسلسلة، وفي العدد (754)، من السَّنَة 33 هجريَّة، الخميس 19 رجب 1370هـ، 26 أفريل 1951م، (ص2) =نَشَرَ ما يلي:

«في جنوب عَمَالَة قُسَنْطِينَة (3)

طُولْقَة

على بُعْد 42 كلم من مدينة بسكرة (عاصمة الصَّحراء) تُوجد بلدة طُولْقَة (عاصمة الزِّيبان) مِن عمالة قسنطينة.

وطُولْقَة بلادٌ عربيَّة صِرْفَة، ومشهورةٌ بالتُّمور الرَّفيعة النَّوع مثل الدَّقْلَة نُور، وفي القديم والحديث أنجبت علماء أعلام في العلوم الدِّينيَّة، أَمَّا حُفَّاظ كلام الله فكثيرون، وللزَّوايا دَخْلٌ كبيرٌ في نشر الثَّقافة العربيَّة الإسلاميَّة بتلك الجهة.

وممَّا ألفت نظري في زيارتي الأخيرة لِطُولْقَة مكتبةٌ كبرى جامعة، حَظِيتُ بِالاطِّلاع على بعض كنوزها الثَّمينة.

المكتبة العثمانيَّة

ساعدني الحظُّ بِزيارة هذه المكتبة المخلَّفة عن آل المنعم المبرور الشَّيخ الحاج بن علي بن عثمان أحد علماء طُولْقَة الأعلام، والَّذي كان تولَّى الإفتاء مع التَّدريس في زاوية أجداده الَّتي كان شيخَها مُدَّةَ ربع قرن، والمُتَوَفَّى منذ ما يقرب من ثلاثة أعوام ـ وهذا البيت العِلْمِي الماجد قد أنجب علماء

مشاهير في الغابر والحاضر، نذكر من بينهم: المرحوم الشَّيخ سيدي الحفناوي، والمرحوم الشَّيخ سيدي المبروك، والشَّيخ سيدي المداني ـ المُلَقَّب بِعالم الصَّحراء في عصره، والشَّيخ سيدي الهاشمي (والد الشَّيخ عبد الحفيظ ـ صاحب «النَّجاح» ومُفْتِي عَنَّابَة)، والمُؤَسِّس للمكتبة المرحوم سيدي الشَّيخ الحاج المذكور.

والَّذين ما يزالون بِقيد الحياة أطال الله أعمارهم، وهُم: علَّامة هذا العصر شيخنا سيدي محمَّد الخضر بن الحسين التُّونسي ـ سليل هذا البيت، المعدود الآن في طليعة علماء مصر، وأَخَوَاه: الشَّيخ زين العابدين حسين التُّونسي ـ مِن علماء دمشق الشَّام، والشَّيخ المكِّي بن الحسين ـ مِن علماء تونس والعضو بالمَجْمَع اللُّغوي في مصر، والشَّيخ عبد الحفيظ بن الهاشمي ـ صاحب «النَّجاح» ومُفْتِي عَنَّابَة الحالي.

وشيخ الطَّريقة الرَّحمانيَّة الآن ورئيس زاوية طُولْقَة والخطيب بجامعها: الشَّيخ سيدي الحاج عبد الرَّحمن بن الحاج علي، ونائبه أخوه: الشَّيخ سيدي عبد القادر ـ المدرِّس والإمام الثَّاني بالجامع[1]، ومِن بين المدرِّسين بِالزَّاوية وآل بيتها الشَّيخ عبد الله بن المبروك، والأديب الشَّيخ عبَّاس بن الهاشمي، أخ الشَّيخ عبد الحفيظ، والشَّيخ الحاج الطَّاهر بن المكِّي، وغيرهم.

والمكتبةُ المذكورةُ تحتوي على ما يزيد عن عشرة آلاف كتاب، نصفها تقريبًا خَطِّي والآخر مطبوع، وكلُّها مُجَلَّدة وكاملة الصَّحائف، وبها أقسامٌ لتفاسير القرآن الكريم الَّتي تَرْبُو عن الخمسين، بين قديمةِ التَّأليف وحَدِيثَتِهِ، وقسم الحديث الشَّريف مع مختلف شروحه، وقسم التَّصوُّف، وقسم علم أصول الفقه وفروعه طِبْق المذاهب الأربعة، وقسم التَّوحيد على مختلف المِلَل والنِّحَل، وقسم الفنون اللُّغويَّة مِن نحوٍ وصرفٍ وبلاغة، وقسم الأخلاق والتَّربية، وقسم السِّيَر والطَّبقات والتَّاريخ، وقسم الأدب بين نثرٍ وشِعر، وقسم الحيوان والنَّبات والفلسفة والسِّياسة والطِّب والحكمة والفَلَك

(1) هو الشَّيخ عبد القادر عثماني (1929م ـ 2023م) الآتي ذِكْرُهُ.

والطَّبيعة والكيميا والحساب والجَبْر والهندسة والتَّصوير وعلم الوضع وآداب البحث، وفي ضمنها النَّقْد والرُّدُود، إلى غير ذلك من الأقسام.

وهذه المكتبة المُحَبَّسَة تَحْبِيسًا خَاصًّا بِمثابة المكاتب العامَّة، حيث كان في متناول كُلِّ مستفيدٍ من المطالعة بها، دون إباحة خروج أَيِّ كتابٍ منها، حَسَب نَصِّ التَّحْبِيس.

وإذا كان يوجد في النَّهر ما لا يوجد في البحر، فإِنَّ بِهذه المكتبة كتبًا نادرةَ الوجود، ولم تُطْبَع لِحَدِّ الآن، فهي مكتبةٌ ثمينة، وبعضها في ورق الرَّقِّ، وبعضها بِخَطِّ مُؤلِّفِيها، وبين المُصَنَّفات مَن قدم عهده إلى قرونٍ ماضية، كَـ«تهذيب المدوَّنة» لأبي القاسم البرادعي، بِخَطِّ مؤلِّفه، وقد مضى عليه ألفُ عامٍ بالضَّبط، وكتاب المكايد الحربيَّة، بِخَطٍّ مغربي، في ورق رَقِّ الغزال، يرجع تاريخُه إلى نحو 530 سنة، وكتاب المختارات في الحديث، في رَقِّ غزال، يرجع تاريخه إلى نحو ألف سنة، وغيرها مِن الكتب الخَطِّيَّة العتيقة، بين شرقيَّةٍ وغربيَّة». اهـ.

يظهرُ في الصُّورة الشَّيخ عبد القادر عثماني (1929م ـ 2023م) ونَجْلُه الشَّيخ الشَّاب سعد؛ الَّذي يَتَولَّى اليومَ مشيخة وإدارة الزَّاوية والمكتبة العثمانيَّة.

رِسَالَتَان خُصُوصِيَّتَان من شَكِيب أَرْسَلَان إلى عَبْد الحَمِيد بْن بَادِيس

■ نشر الأستاذ الشَّيخ عبد الحميد بن باديس في مجلَّته «الشِّهاب»، مضمون رسالتين خصوصيَّتين من أمير البيان شكيب أرسلان، نَشَرَ الأولى تحت عنوان:

دُرَّةٌ غَالِيَة

مِن دُرَر أَمِير البيان ونَصِير الإسلام

الأمير شكيب أرسلان

«جاءنا كتابٌ خاصٌّ من عَطُوفَتِهِ ذَكَرَ فِيهِ اتِّصَالَهُ بِالجزء الأوَّل من «تاريخ الجزائر» للأخ العَلَّامة مُبَارَك المِيلِي، وبأعدادٍ مِن «الشِّهاب»، وبعدما أَثْنَى عليهما وأُعْجِب بهما وقال فيهما ما أَمْلَاهُ عليه عِلْمُه وفَضْلُه قال وهُوَ يتحدَّث عن نهضتنا الأدبيَّة بالجزائر ــ:

النَّهْضَة الأَدَبِيَّة في الجزائر

« ... وإنَّ هذا النُّهوض لن يَعْدُوَ الإسلام، ولن يكون إلَّا ضمن دائرة الإيمان، إِذْ لا رُقِيَّ بدون أخلاق، ولا أخلاق بِدُون مَدَنِيَّة رُوحِيَّة تكون فيها الرُّوحُ مُحَرِّكًا والمَادَّةُ آلة، ومتى كانت المَادَّة هي الأوَّل والآخِر فالمآل إلى الخراب ولو تأخَّر إلى حين، وإِنَّ الأُمَّة الَّتي تُرِيدُ أَنْ تَرْقَى بِنَبْذ عقائدها وتقاليدها وأن تجعل قديمها فِدَاءً لِجديدها لَهِيَ أُمَّةٌ مُسْتَعْفِيَةٌ مِن الوجود راضيةٌ بِأن تكون لِغيرها غذاءً وأن تدخل في تركيب الأُمَم الأخرى وتضمحلَّ هُوِّيَّتُها، كما تلاشت أُمَمٌ بائدةٌ كثيرةٌ، فعَفَا رَسْمُها وتُنُوسِيَ حَتَّى اسْمُهَا، وصارت المعلومات عنها افتراضات، والآراء في شأنها تَخَرُّصَات، ولن ترضى بِذلك أُمَّةٌ تَفْقَه معنى الحياة، فكيف تَرْضَاهُ الأقوام الَّتي دليلُها القرآن، ومعبودُها الرَّحمن، وعقيدتُها

مُنَزَّهَةٌ عن المحالات، ولغتُها العربيَّة من أكمل اللُّغات. واللهُ يَأْخُذُ بِيَدِكُم ويَفْتَحُ عليكم ويجعلكم عَلَمًا مُنِيرًا، ويَهْدِي بكم كثيرًا، والسَّلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته. أخوكم شكيب أرسلان»[1].

وفي الجزء نفسِه، نشر مضمون الرِّسالة الثَّانية تحت عنوان:

دُرَّةٌ أخرى

مِن دُرَر أَمِير البيان

قَدَّمَ لَهَا بِقوله:

«سافر الأمير هذه الأيَّام الأخيرة إلى الأندلس واقفًا على آثار العرب مُنَقِّبًا عن مآثرهم، وقد وعد عطوفته أن يُقَيِّد ما يستفيدُه مِن رحلته في كتابٍ أَسْمَاهُ «الحُلَّة السُّنْدُسِيَّة في الرِّحْلَة الأندلسيَّة،» وسيكون هذا الكتاب مِن أَفْيَد وأَمْتَع ما أُلِّفَ عن ذلك التَّاريخ المجيد والفردوس المفقود. وقد جاءنا كتابٌ خاصٌّ مِن عطوفته أَرَدْنَا نَشْرَهُ لِتعميم فائدته على القُرَّاء، ولِيكون لهم مُشَوِّقًا إلى ذلك القُطْر، وإلى كتاب الأمير الَّذي وَعَدَ به، كتب اللهُ لِعطوفته السَّلامة في حِلِّه وتِرْحَالِهِ، ونفع المسلمين بِدُرَرِ بَيَانِه».

قال:

الأَنْدَلُس: الفِرْدَوْس المَفْقُود

«وجدت آثار العرب في الأندلس فوق ما كنتُ أتصوَّر، جامع قرطبة مُعجزةٌ في عظمته، منار إشبيليَّة نُكْتَةٌ لا نظير لها، أَمَّا كُلُّ شيءٍ فهو مِن دون غَرْنَاطَة، هذه لا تُمكن بها

(1) «الشِّهاب»، المجلَّد السَّادس، الجزء الثَّامن، غرَّة ربيع الثَّاني 1349هـ ـ سبتمبر 1930م، (ص468-469).

الإحاطة، وإِنَّ قَلَمِي لَيَقِفُ عاجزًا عن الجولان في موضوعها، فليس مِن البيان ما يفي هنا بِأقل درجات العيان، حَقُّ العيان نفسه لا تكفيه الأيَّام القلائل، بل لو أقام الإنسان هنا أشهرًا ودخل الحَمْرَاء كُلَّ يومٍ لَرَأَى كُلَّ دَخْلَةٍ يدخلُها عَجَبًا، ولقد تحقَّقت بِالعيان فضلًا عن التَّاريخ أَنَّ هذه البلدة بِموقعها الطَّبيعي، واتِّصالها بِالجبال العالية مِن خلفها، وبِالمُرُوج مِن بين يديها، وتَحَدُّر ثلاثة أنهرٍ في جوانبها، وكثرة خيراتها، وأَنَّها كانت مع مَرْجِها العظيم تَحْوِي نحو مليون نسمة، هذه لا يُمكن أن تُؤْخَذ عُنْوَةً أصلًا، وأَنَّها لم تُؤْخَذ إِلَّا بِالانشقاق الَّذي بقي بين أهلها إلى آخر ساعة، وأيضًا بِالتَّعَلُّل بِالآمال الفارغة، الَّتي جعلت أولئك الجماعة يَعْقِدُون معاهدةً مع «فَرْدِينَادْ» و«إِيزَا بِلَّا» ويعتقدون أَنَّهما يُنَفِّذانها، فما مضى عليها أَيَّامٌ حتَّى نُقِضَت عُرْوَةً عُرْوَة، وحُمِلُوا على النَّصرانيَّة بِالسَّيف.

ما أستطيع أن أقول بعد الَّذي رأيتُه إِلَّا ما قاله العَدُوُّ نفسُه «شرلكان» عندما رأى الحَمْرَاء: «شَقِيٌّ جدًّا مَن ذهب مِن يَدِهِ كُلُّ هذا»، فإذا كان هذا كلام الآخذ فكيف كلام المأخوذ منه.

نعم، قد أَثَلَ المسلمون هُنَا مَدَنِيَّةً هِيَ مِن أعلى ما عَرَفَ التَّاريخ، ولكنَّهم أضاعوها وأضاعوا نواميسهم وأعراضهم وأموالهم وعروضهم ودماءهم وأرواحهم وكُلَّ مَادِّيٍّ وأَدَبِيٍّ لهم، بِاستيلاء المنافسات على نفوسهم، وغرامهم بِالاختلاف، وقصَّة الأندلس هِيَ كما قال أبو البقاء الرُّنْدِي:

تِلْكَ المُصِيبَةُ أَنْسَتْ مَا تَقَدَّمَهَا/ وَمَا لَهَا مَعَ طُولِ الدَّهْرِ نِسْيَانُ

أو قوله:

وَلِلْحَوَادِثِ سُلْوَانٌ يُسَهِّلُهَا/ وَمَا لِمَا حَلَّ بِالإِسْلَامِ سُلْوَانُ

فعسى أن يستفيد الإسلام مِن هذه المصيبة عِظَةً، وإِنْ كُنْتُ أراه قَلَّ ما يستفيد عظات، وكانت على قلوبٍ أقفالُها، فلا نيأس مِن الاتِّعاظ، فإِنَّ اليأس هو السُّقُوطُ الحقيقي، وما دام الأَمَلُ موجودًا فالحياة موجودة. والسَّلام»[1].

(1) «الشِّهاب»، المجلَّد السَّادس، الجزء الثَّامن، غرَّة ربيع الثَّاني 1349هـ ـ سبتمبر 1930م، (ص483ـ484).

صورتنا فى جامع قرطبة
مأخوذة سنة ١٩٤٠

سكيب
ارسلان

مُخْتَارَاتٌ

❖ قال مَعْنُ بْنُ عيسى القَزَّاز: «**ما كُنَّا نَعْدِمُ أن يقدم علينا القَادِم؛ فيسأل عن قولِ مالكٍ وآدابِه مِمَّا ليس في الفقه**» [الآداب الشَّرعيَّة لابن شيخ السَّلَّاميَّة (ص85)]

❖ قال عبد الله بن مالكٍ الخُزاعي: قلتُ لِابْنِ عُيَيْنَةَ: أَوْصِنِي. فقال: «**إِيَّاكَ وَحُبَّ الشَّرَف**» [الآداب الشَّرعيَّة لابن شيخ السَّلَّاميَّة (ص103)]

❖ قال حنبلٌ: كثيرًا ما كنتُ أسمع أبا عبد الله حِينَ يُرِيدُ أن يقومَ مِن المجلس يَدْعُو بِهَذَا: «**اللَّهُمَّ آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَة، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَة، وَقِنَا عَذَابَ النَّار**» [الآداب الشَّرعيَّة لابن شيخ السَّلَّاميَّة (ص342)]

❖ قال جعفر بنُ سَعْد: «**مَا أَقَلَّ الإِنْصَاف، وَمَا أَكْثَرَ الخِلَاف!**» [الآداب الشَّرعيَّة لابن مُفْلِح (2/ 108)]

❖ قال الإمام أحمد: بَلَغَنِي عن ابْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ: «**الغُلَامُ أُسْتَاذٌ إِذَا كَانَ ثِقَةً**».

وقال عَلِيُّ بْنُ المَدِينِي: «**إِنَّ العِلْمَ لَيْسَ بِالسِّنِّ!**» [الآداب الشَّرعيَّة لابن مُفْلِح (2/ 111)]

الإِنْصَاف

لِعلَّامة الشَّام جمال الدِّين القاسمي الدِّمَشْقِي ـ ت 1332هـ[1]

«مِن الواجب على العاقل أن يَتَنكَّب عن معاندة الحقِّ ومجانية الصِّدق، ويَحْذَر مِن هُوَّة التَّعصُّب والسَّفسطة، ويخشى التَّهوُّر في مساوئ تلك المخرطة، ويَرْفُض المكابرة في المحسوس والتَّوحُّش عن المَهْيَع المأنوس، ويَرْجِع إلى التَّثبُّت في مَحْكِيَّاته، ويقوم بِعِمَاد البُرهان مَرْوِيَّاته، ويَرُدَّ ما جهله إلى عالمه، يَرْتَدِي حُلَل الفَضْل في عَالَمِه، ولا ينبغي أن يجهل مِن نفسه مبلغ علمها، ولا يتجاوز بها قَدْرَ حقِّها، ولأَن يكون بها مقصِّرًا فيُذْعِن بالانقياد، أَوْلَى مِن أن يكون بها مجاوزًا فكيف عن الازدياد، لأنَّ مَن جهل حالَ نفسه كان لِغيرها أجهل، وإذا صان العاقلُ نفسه حقَّ صيانتها ولازمَ فِعْلَ ما يلزمها أَمِنَ تَعْيِيرَ المُوالي وتنقيص المُعادي، وجَمَعَ إلى فضيلة الكمال جميل الصَّيانة وعِزَّ النَّزاهة، فصار بالمنزلة الَّتي يستحقُّها بفضائله، قال بعضُ الحكماء: «**نَظَرُ الجاهل بِعينه وناظره ونَظَرُ العاقل بِقلبه وخاطره**»، والوافرُ العقل مَن اتَّهم نفسَه في صوابِ ما أحبَّت وتحسينِ ما اشتهت، ليتَّضح له الصَّواب ويتبيَّن له الحق، فإنَّ الحقَّ أَثْقَل مَحْمَلًا وأصعب مَرْكَبًا، والانصياع للحقِّ لا ينشأ إلَّا من فضيلة الإنصاف، الَّذي هو مِن ثمرة عُلُوِّ الهمَّة، فإنَّ الباعث على التَّقدُّم والدَّاعي إلى التَّخصيص أَنَفَةٌ مِن خمول الصَّنْعَة واسْتِنْكَارٌ لمهانة النَّقْص، ومعلومٌ أنَّ إحراز ذلك بالاجتهاد، والاجتهاد أَرْبَحُ بضاعة، وهذا من نتيجة أدب الرِّياضة والاِسْتِصْلَاح، ولا يخفى أنَّ النَّفس مجبولةٌ على شِيَمٍ مهملة، فمن أغفل تأديبَها

(1) جريدة «ثمرات الفنون»، بيروت، العدد (1187) (ص7)، الإثنين 15 صفر 1316هـ، 22 حزيران 1898م.

توكُّلًا على أن تنقاد إلى الأحسن بالطَّبع وتفويضًا إلى العقل، أَعْقَبَهُ التَّوكُّلُ نَدَمَ الخائبين وأَعْدَمَه التَّفويضُ دَرْكَ المجتهدين. وبالجملة، فالعَزْم مؤثِّر والاجتهاد مثمر والطَّريق جَدَد، والشَّوق باعث، والاستجابة ممكنة، والحَزْم أَخْذُ الأُهْبَة وتقديمُ العُدَّة، فلعلَّك ترتقي بطهارة أخلاقك وتهذيب سِيرتك وإصلاح حركاتك إلى معارج فَوْزِك، نسألُه تعالى خُلُقًا طاهرًا وعملًا صالحًا وعِلْمًا نافعًا. «**دمشق**» «**جمال الدِّين القاسمي**»».

قصيدةٌ في المَذْهبِ السَّلَفِي

للشَّيخ عُمَر بن البِسَكْرِي العُقْبِي ـ ت 1968م ـ[1]

نُشِرَت هذه القصيدة في جريدة «المرصاد» (لِصاحبها الشَّيخ محمَّد عبابسة الأخضري)، في العدد (14)، (ص3)، بتاريخ الجمعة 30 ذي الحجَّة 1351هـ، 6 ماي 1932م، تحت عنوان (**الشَّباب النَّاهض يتظاهر بِمُعْتَقَدَاتِهِ السَّلَفِيَّة**):

لَا أُبَـــالِي بِسُـــخْطِكُمْ فِـــي صُـــدُودِي ... عَـــنْكُمُ طَالِبًـــا رِضَـــى مَعْبُـــودِي

لَـــمْ أَزَلْ نَاهِضًـــا بِجُهْـــدِي وَلَـــوْ أَفْـــ ... ـــنَـــى لِإِحْيَـــاءِ دِينِـــيَ المَنْكُـــودِ

دَاعِيًـــا لِلْكِتَـــابِ وَالسُّـــنَّةِ الغَـــ ... ـــرَّا وَقَـــوْلِ الأَئِمَّـــةِ المَحْمُـــودِ

كُـــلُّ قَـــوْلٍ أَتَـــى بِغَيْـــرِ دَلِيـــلٍ ... أَلْتَقِيـــهِ بِقَسْـــوَةٍ وَرُدُودِ

عَـــيْنُ جُـــودِي عَلَـــيَّ بِالـــدَّمِ مِمَّـــا ... حَـــلَّ بِالـــدِّينِ مِنْـــهُ يَـــا عَـــيْنُ جُـــودِي

فَـــارْتَمَى فِـــي تَفَـــرْنُجٍ وَابْتِـــدَاعٍ ... بِاعْتِـــدَاءٍ مِـــنَ الطَّغَـــامِ الوُغُـــودِ

---

(1) شُكْرٌ خاصٌّ للأستاذ الشَّيخ الدكتور جعفر حليمي (حفظه الله)، الَّذي تفضَّل بمُراجعة القصيدة.

رَبِّ إِنِّـــــي إِلَيْـــــكَ أَبْـــــرَأُ مِمَّـــــا زَادَ قَـــــوْمِي فِـــــي شَـــــرْعِكَ المَحْـــــدُودِ

تَخَـــــذُوا الشِّـــــرْكَ قُرْبَـــــةً طَـــــوْعَ شَـــــيْطَا نِهِـــــمُ وَانْتَمَـــــوا إِلَـــــى التَّوْحِيـــــدِ

وَتَـــــدَاعَوا إِلَـــــى الوَسَـــــائِطِ دُونَ اللـــــ ـــــهِ وَاللـــــهُ دُونَ حَبْـــــلِ الوَرِيـــــدِ

فَـــــإِذَا مَـــــا دَعَـــــوْتُهُمْ لِكِتَـــــابِ اللـــــ ـــــهِ أُعْـــــزَى لِلزَّيْـــــغِ أَوْ لِلْجُحُـــــودِ

إِي وَرَبِّـــــي لَجَاحِـــــدٌ كُـــــلَّ مَـــــا دِنْـــــ ـــــتُمْ بِـــــهِ مِـــــنْ خُرَافَـــــةٍ وَجُمُـــــودِ

قَـــــدْ دُعِيـــــتُمْ لِلـــــرَّأْيِ كَـــــيْ تَنْظُـــــرُوا الـــــدِّ يـــــنَ فَلَـــــمْ تَرْتَضُـــــوا سِـــــوَى التَّقْلِيـــــدِ

قُـــــلْ إِلَـــــى عَـــــالِمِ المَدِينَـــــةِ قُـــــمْ وَانـــــ ـــــظُرْ إِلَـــــى المَـــــذْهَبِ النَّقِـــــي السَّـــــدِيدِ

كَـــــيْ تَـــــرَى كَيْـــــفَ شَـــــوَّهَتْهُ عُقُـــــولٌ بِابْتِـــــدَاعٍ يَأْبَـــــاهُ عَقْـــــلُ الوَلِيـــــدِ

تَّخَذَتْـــــهُ العُتَـــــاةُ طَـــــوْعَ الهَـــــوَى حَتَّـــــ ـــــى غَـــــدَا شَـــــأْنُهُ إِلَـــــى التَّبْدِيـــــدِ

رَبِّ أَشْـــــكُو إِلَيْـــــكَ مَـــــا دَبَّـــــرَ القَـــــوْ مُ لِجَنْبِـــــي فِـــــي غَفْلَتِـــــي مِـــــنْ مَكِيـــــدِ

نَصَـــــبُوا لِـــــي العِـــــدَا وَلَا ذَنْـــــبَ لِـــــي غَيْـــــ رَ دُعَـــــائِي إِلَـــــى الطَّرِيـــــقِ الوَحِيـــــدِ

وَتَعَـــــامَوا عَـــــنْ مَقْصِـــــدِي حَسَـــــدًا يَـــــا وَيْحَهُـــــمْ وَالعَمَـــــى شِـــــعَارُ الحَسُـــــودِ

وَلَقَـــدْ حَـــاوَلُوا عُيُوبًـــا فَلَمَّـــا افْـــ ـــتَقَدُوهَا اضْـــطَرُّوا إِلَـــى التَّفْنِيـــدِ

كَـــيْ يُسَـــوُّوا بَيْنِـــي وَبَـــيْنَ أُنَـــاسٍ يَـــدَّعُونَ العُـــلَا بِغَيْـــرِ صُـــعُودِ

قَـــدْ بَكَرْنَـــا وَهُـــمْ نِيَـــامٌ وَأَدْلَجْـــ ـــنَا وَهُـــمْ فِـــي عِنَـــاقِ طَـــارٍ وَعُـــودِ

أَنَـــا لَا أُنْكِـــرُ التَّصَـــوُّفَ إِنْ كَـــا نَ مَـــعَ الشَّـــرْعِ سَـــائِرًا فِـــي الحُـــدُودِ

أَعْبُـــدُ اللـــهَ وَحْـــدَهُ مُخْلِصًـــا دِيـــ ـــنِي لَـــهُ مِـــنْ شَـــوَائِبِ التَّرْدِيـــدِ

وَإِذَا مَـــا دَهَـــانِي الخَطْـــبُ لَا أَدْ عُـــو سِـــوَى خَـــالِقِي المُجِيـــبِ المَجِيـــدِ

لَا أَرَانِـــي حَـــوْلَ القُبُـــورِ سِـــوَى دَا عٍ لِمَيْـــتٍ أَوْ ذَاكِـــرٍ لِوَعِيـــدِ

لَا أَسُـــبُّ الأَمْـــوَاتَ كَـــلَّا وَلَا الأَ حْيَـــا وَلَا أُوغِلَـــنَّ فِـــي التَّمْجِيـــدِ

فَـــإِذَا فُـــتُّ فِـــي ثَـــرَاءٍ فَمَـــا فُتْـــ ـــتُ بِعِلْـــمٍ وَلَا بِخُلْـــقٍ حَمِيـــدِ

فَبِهَـــذَا تَحْيَـــا النُّفُـــوسُ وَيَبْقَـــى ذِكْرُهَـــا خَالِـــدًا عَلَـــى التَّأْبِيـــدِ

رُبَّ شَـــخْصٍ هَدَيْتُـــهُ فَـــانْجَلَى عَـــنْ فِكْـــرِهِ كُـــلُّ ظُلْمَـــةٍ وَجُمُـــودِ

قَابَـــلَ النِّعْمَـــةَ الَّتِـــي كُنْـــتُ أُسْدِيـــ ـــهَا إِلَيْـــهِ بِنُكْـــرِهِ وَالجُحُـــودِ

مُطْفِئًـــا نُـــورِيَ الَّـــذِي كَـــانَ مِنْـــهُ ... مُسْـــــتَمِدًّا بِـــــالزُّورِ وَالتَّوْلِيـــــدِ

قَـــدْ أُلاقِيـــهِ فِـــي أَنَـــاةٍ وَفِـــي حِلْـــ ... ـــمٍ مُـــذِيبٍ لِلصَّـــخْرَةِ الجُلْمُـــودِ

رَبِّ أَشْـــكُو إِلَيْـــكَ مَظْهَـــرَ قَـــوْمٍ ... آثَـــرُوا اللَّهْـــوَ فِيـــهِ مِثْـــلَ القُـــرُودِ

قَـــدْ سَـــئِمْتُ المَقَـــامَ فِـــيهِمْ فَمَـــنْ لِـــي ... بِانْتِقَـــــالٍ لِلْمُبْصِـــــرِينَ الصَـــــيدِ

وَلَقَـــدْ قَـــالَ لِـــي خَلِيـــلٌ وَيَـــا رُبَّ ... خَلِيـــــلٍ يَـــــأْتِي بِقَـــــوْلٍ مُفِيـــــدِ

قَـــدْ كَفَانَـــا مَـــا قَـــدْ عَـــدَدْتَ مِـــنَ الـــدَّ ... اءِ فَعَـــــرِّجْ إِلَـــــى الـــــدَّوَاءِ الوَحِيـــــدِ

قُلْـــتُ حِيـــدُوا عَـــنْ كُـــلِّ مَـــا زَادَ فِـــي الـــدِّ ... يـــــنِ وَدِينُـــــوا بِقَرْنِـــــهِ المَشْـــــهُودِ

وَاطْلُبُـــوا العِلْـــمَ بِالـــدَّلِيلِ لِتَـــدْرُوا ... أَيْـــنَ تُمْسُـــونَ لَا كَعُمْـــيِ البِيـــدِ

وَأَشِـــيدُوا مَدَارِسًـــا تَرْتَقُـــوا إِنَّ ... المَـــدَارِسَ مِـــنْ مَرَاقِـــي الصُّـــعُودِ

وَابْـــذُلُوا المَـــالَ وَامْنَحُـــوا الـــنَّفْسَ فِـــي سُبـــ ... ـــلِ العُلَـــى وَارْفَعُـــوا بِكُـــلِّ رَشِـــيدِ

«سيدي عقبة» «عمر بن البسكري»

وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ